رواية

أشجان

بقلم

نادي كيلانـي

بطاقة فهرسة

اسم الكتاب : رواية أشجان
المؤلف : نادية كيلاني
تصميم الغلاف : محمد عبد الباقي


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

إلى صديقتي بطلة الرواية
والتي كنت أتمنى لها خيرا
ومصيرا أفضل.

يقول الإمام علي بن أبي طالب ت وأرضاه:

«الناس من خوف الذل في الذل

والنَّاس من خوف الفقر في الفقر».

**

ويقول نجيب محفوظ:

«الخوف لا يمنع الموت بل يمنع الحياة».

١-العقبة الأولى

لما طلبتني رضوى وقالت أدركي أشجان أسرعت الخطى.

- ماذا بها يا رضوى؟!

- لحقها الزهايمر، صارت تنسى ولا تحسن عد النقود والناس تستغلها، وتائهة و..

- سأذهب إليها وأرى ما يمكن عمله من أجلها.

أشجان صديقتي من سنوات طويلة، خريجة الإعلام المثقفة والكاتبة، زميلتي في عضوية اتحاد كتاب مصر، وفي نادي القصة، لها عدة مؤلفات ما بين الرواية والقصة والدراسات الإعلامية.. صحيح أنها كبيرة في السن فقد تخطت منتصف السبعين لكنها أديبة ومفكرة؛ والأديب لا يهرم.. ولابد أن تنتهي حياتها متى أراد الله على خير حال.

كنت طوال الطريق أفكر فيما يمكنني فعله من أجلها.

- أين أهلها يارضوى..

- ليس لها أحد.. تعرفين أنها وحيدة وبعيدة عن أقاربها من سنوات طويلة، والآن نسيتهم تقريبا.

أعرف أنها كانت تعيش مع والدتها التي رحلت من عشر سنين وأكثر، وتعيش بعدها وحيدة، فضلا عن بعض الصفات التي اكتسبتها من أمها، وهي العادات التي تلازم الأتراك.

فهي لم تأخذ عن أمها تلون العينين والشعر وحمرة البشرة فقط، بل أخذت منها الحرص، وعدم الثقة إلا في المقربين وأهل الثقة، والحمد لله أنني بالنسبة لها من أهل الثقة، فيمكنني أن أتكلم معها بصراحة وأقنعها أن تقيم في دار مسنين؛ سيعتنون بها وتجد من يقدم لها الطعام في وقته وينظفها ويعتني بملابسها.

والحمد لله لها معاش يؤهلها أن تقطن أفضل دار مسنين.. ونحن زميلاتها نزورها من حين لآخر.

ما هذا الذي أقوله؟! لابد أن لها أهلا ولابد من الوصول إليهم، هي اسم كبير وواجهة مشرفة ولها دخل يجعلها ليست عبئا على أحد.

قالت لي منذ فترة ليست بالبعيدة أنَّ لها أقاربَ تبقى عندهم ثلاثة أيام وتأتي بيتها ثلاثة أيام.. يومها شجعتها على ذلك، وشرحت لها أهمية أن تبقى وسط أناس من أقاربها لأن الوحدة مدمرة، ثم عرفت أنها ما عادت تذهب إليهم، ولما سألتها لماذا قالت: - يستغلونني.

ضحكت كثيرا ونصحتها:

- دعي الناس تستغلك قليلا في سبيل أن يؤدوا لك المصلحة.. مصلحتك أن تكوني وسطهم، ادفعي يا أشجان ثمن الونس والرعاية.. نظرت لي مستغربة وقالت:

- دائما لك آراء غير الناس.

ولكن كيف التوصل إلي أهلها الآن وهي كما عرفت قد نسيتهم.. أكيد سأبذل جهدا كبيرا حتى أجدهم.. لا يهم في سبيل الصداقة يهون أي جهد.. المهم أولا أن أقف على حقيقة حالتها، وقد أعرضها على طبيب نفسيٍّ أو مخ وأعصاب حسب حالتها.

تبســمت بيني وبين نفســي وتذكرت آخر موقف حدث بيننا، وكان مضحكا مبكيا.. تقابلنا بالمصادفة في مكتبة مصر العامة، كانت تطمئن على مؤلفاتها الموجودة بالمكتبة.. رأيتها هللتُ من الفرحة وصحت:

- أشجان!!

قالت ببرود:

- أهلا.. ماذا تفعلين هنا؟

- كما تفعلين.. لي عضوية مثلك بالمكتبة.

صــمتت قليلا وتأملتني وســافرت عيناها وعادت تلمع فانفرجت أساريرها وقالت:

- تعالي أعزمك على نسكافيه.

جلسنا متواجهتين في بوفيه المكتبة، جاء العامل بالمطلوب تكلمنا كثيرا، ثم جاء ليأخذ الحســاب، أعطته نقودا كثيرة فوق ما طلب، وسألته:

- أهذا يكفي؟!.. مبسوط؟

شكرها ومشى بالغنيمة.

خرجنا من الكافيتريا، ذهبنا نبحث عن الكتب، ولما قلت لها نقعد هنا.. قالت:

- بل هناك. قلت لها:

- بل هنا.. اقعدي.

نظرت لي محدقة مستغربة كيف آمرها؟ وجلست.. ذهبتُ أسأل الموظفة عن اســم كتاب، بحثتْ لي عنه في الكمبيوتر ولما عدت لم أجدها.

أسـرعت أبحث عنها ربما ذهبت للمكان الذي اختارته أولا فلم أجدها نزلت مسـرعة أسـأل عنها.. قالوا: خرجت من الباب، أسـرعت لألحق بها فإذا بي أجدها جالسـة عند سـور المكتبة من الخارج ويدها تحت ذقنها.

- أشجان!!.. ما هذا؟.. لماذا مشيت!!

قالت بلهجة طفولية متدللة:

- أنت تعاملت معي بأسلوب لا يصح.. رفعت صوتك علي.

ربَّتُّ على كتفها، وأخذ صوتي نبرة حانية:

- لا أقصد يا أشجان.. حقك عليَّ.. تعالي.

عدنا إلى المكتبة.. قالت:

- لم أمشِ حتى لا تغضبي.

تبسمت لها:

- تخافين أن أغضب.. إذاً تحبينني.

لماذا لم ألحظ وقتها أنها تتعامل كطفلة، واكتفيت بالاعتذار وإرضائها.

يومها وقبل أن نخرج من المكتبة قلت لها:

- سأصلي الظهر قد يفوتني وأنا في الطريق.. قالت:

- أنا صليت اليوم كله.

- اليوم كله يا أشجان!!.. كيف؟!

قالت بثقة واقتناع:

- عندما أصـحو في الصـباح أصـلي كل الأوقات، حتى لا أحمل همها.

- كيف يا حبيبتي؟!.. الصلاة لوقتها.

- هذا ما أفعله.

ولما قلت لها انتظري أصلي ثم نتناقش في هذا الموضوع الخطير.. قالت:

- لا أنا تعبت.. «باااي».

تركتني وانطلقت تقفز بخفة الطير.. وحبور الطفل.

والآن أنا في الطريق إليك وأملي أن أجدك في أفضل حال.

خطر ببالي أنها ربما لا تكون موجودة بالبيت، فهي منذ فترة لا ترد على تليفون البيت ولا المحمول؛ ومن يريدها يذهب إليها وهو وحظه.

أفقت على صوت سائق التاكسي يسأل:

- أين في الدقي؟!

- العمارة القادمة.. واستطردت:

- أنا ذاهبة لصديقة لي، احتمال ألا أجدها، فإن كانت غير موجودة سأرجع معك من حيث أتيت، وإن كانت موجودة سأشير لك أن تمشي.. فهل تنتظرني دقيقة؟!

هز الرجل رأسه بالموافقة، ولما نزلت من التاكسي وجدتها في النافذة؛ فهي تقطن أول شقة يمين بعد الدخول من باب العمارة وارتقاء أربع درجات فقط، شكرت السائق ورحت أداعبها لألفت نظرها:

- ما هذا الجمال يا ملكة!!

اعتدت أن أداعبها بهذا الاسـم تعبيرا مني عن جمالها الأخاذ.. هذا كان في بداية تعارفنا، وقد أطلقته عليها لما عرفت أنها حظيت ذات يوم بلقب ملكة جمال لبنان، كان يروق لها وصفها بالملكة فهو يذكرها بجمالها وكيف كانت محط الأنظار والاهتمام.. بعدها سار علامة لي عندها.. فإذا قلت لها في التليفون أيام أن كانت ترد على التليفون يا ملكة صاحت:

- أهلا يا «ست هدى».

إلا هذه المرة، لما قلت لها يا ملكة تأملتني شاردة.. فقلت لها:

- افتحي الباب.

فتحت الباب وأوقفتني تسأل:

- منْ؟!

- من تقول لك يا ملكة غيري.. قالت:

- غير متذكرة.

- هدى!! السِّت هدى.

- آآآه .. أهلا تفضلي.

الحمد لله تخطيت العقبة الأولى بنجاح.. كن معي يارب فأنا لا أبغي سوى الخير لصديقتي.



٢- لمسات الزمن

جلســـتُ على الكنبة في غرفة الصـــالون، بعدما أخرجت منديلي ومســحت التراب على قدر جلســتي، وجلســت هي على طرف كرسي بجوارها.. كانت ترحب بي كثيرا وتسأل أســئلة عشــوائية لا تنتظر لها إجابة، وكانت تقوم وتذهب لآخر الشــقة وتعود وتســأل الأسـئلة ذاتها، ثم تقوم وتعود، فسألتها:

- مالك مضطربة.

- أريد أن أضايفك ولم أجد شيئا.

- ليس مهما الضــيافة.. يكفي أن نتكلم فقط.. أوحشــتِني جدا جدا.

قالت بانفراجة كمن وجد الحل:

- تحبين أن نخرج؟!

- وماله نخرج.

قالت لي رضــوى إنها أخذتها إلى كافتريا لطيفة في مكان هي تعرفه في الدور الثاني.. ولما جاءت تدفع ثمن ما شــربا لم تجد معها نقودا، دفعت رضوى الحساب وحمدتْ الله أن كان معها لأن الأسعار في هذا المكان مرتفعة جدا.

وتستطرد رضوى:

- لكنها ظلت غير مقتنعة أنه ليس معها نقودٌ وظلت تبحث تحت الموائد وتســألني عن نقودها حتى أنني فتحت لها حقيبتي لكي تطمئن أنني لم آخذها.. وتكمل:

- كنت في غاية الحرج وهي تبحث حول الناس وتفتش حقيبتي، لولا أن أحدهم قال:

- ولا يهمك يا أستاذة نحن نعرفها.. تأتي هنا كثيرا، ودائما لا تجد معها نقودا، فندعها تمشي، ولولا أننا نعرفها من زمن بعيد ونعرف كم هي كريمة وغير محتاجة لاعتقدنا بأنها نصابة، لكن الحقيقة هي ليست واعية ولابد من وجود أحد من أهلها يتابعها.

أنا أيضا أحمد لله أني عرفت تلك القصة ومستعدة لأي مفاجأة.. المهم أن أتبين حالتها وأحاول معرفة طريق أهلها:

ربَّتُّ على كتفها قائلة:

- هيا بنا.

أخذت حقيبة يدها ومفاتيح الشقة.. وضعت المفتاح في الباب وقفلته عدة قفلات ثم دفعت الباب عدة دفعات تتأكد أنه قد أغلق تماما.. ثم وضعت يدها تحت إبطي وخرجنا من باب العمارة.. وقالت:

- أتحبين أن نذهب إلى مكان معين.

- كما تشائين أنت أدرى بمنطقتك يا ملكة.

ضغطت على ذراعي تحت إبطها وزاد التصاقها بي تعبيرا عن سعادتها باللقب.. ومشينا على الرصيف نفسه حتى ناصيته، توقفت عند مقهى بلدي وقالت:

- أتقعدين هنا؟!

- بالطبع لا.. لا أحب مثل هذا المكان، ثم إن رائحة الشيشة تضايقني.

- مشينا قليلا حتى محل الورد، وراء المحل كرسيان ومنضدة قالت:

- أتقعدين هنا؟!

- كيف يا أشجان.. هذا محل وهذه جلسة صاحبه!!.. قالت:

- أتحبين أن نذهب إلى حديقة الأرمان!!

- نعم.. جميل جدا وهي قريبة من هنا.. هيا بنا.

في طريق العودة توقفت عند محل فول وطعمية وقالت:

نأخذ معنا سندوتشات.

تذكرت الموقف الذي حدث مع رضـوى، وأنه ربما لا يكون معها نقود وتحدث بلبلة أمام الناس، فقلت لها:

- اجلسي هنا وأنا سأحضر السندوتشات.. جلست بجوار صـاحب المحل الذي نطلب منه البون ونعطيه الثمن، ودخلت أنا المحل بالبون وعدت بالسندوتشات كما طلبت وزيادة، فإذا بي أجد في يدها ورقة مالية ذات المائة جنيه، سألتها:

- ما هذا؟! وسألت الرجل:

- أأخرجتها من حقيبتها؟! قال: نعم.. وقال:

- نحن نعرفها جيدا، هي تحتاج لأحد يكون معها دائما، هززت رأسي مؤمنة على كلامه وقلت لها:

- أنا دفعت الحساب، ضعي النقود في حقيبتك، وهيا بنا.

مشـينا متأبطتين أحاول سحبها في كلام، وتذكيرها بمواقف:

- لماذا لم تحضـــري الجمعية العموميه لاتحاد الكتاب شـــهر مارس الماضي.

- لم يقل لي أحد عنها.

- أنت لا تردين على التليفون، تعذبيننا معك.. أيضـــا حدثت انتخابات في نادي القصة أبريل الماضي.

- من كسب؟

- في اتحاد الكتاب تغير الرئيس. أتذكرين اسمه؟!

- لا.

- كان الأســـتاذ «محمد ســـلماوي».. الآن د. «علاء عبد الهادي».

لم تبالِ بالأسماء وكانت قلقة أن دفعت أنا ثمن السندوتشات.. فقالت:

- لا يصح خذي هذه ثمن الأكل.

وكانت لاتزال تمســـك بالورقة المالية بيدها.. تذكرت رضـــوى وهي تقول لي إنها لا تعلم القيمة المادية للنقود.. فقلت لها:

- ثمن الســـندوتشـــات عشـــرة جنيهات، وأنت تعطينني مائة جنيه، هذا مبلغ كبير جدا على ســـندوتشـــات فول وطعمية وبطاطس، قالت:

- هو أخد مني واحدة مثل هذه وأعطاني سندوتشين.

صعقت:

- من؟!! الرجل الذي كنت تجلسين بجواره!!

- لا ولد كان واقفا.. أعطيته ليشتري لي.

- هذه مشكلة فعلا يا أشجان لابد أن نجد لها حلا.

- أي مشكلة؟!!

- لمَّا نقعد نتكلم.. لقد اقتربنا.

وصلنا إلى الحديقة.. الناس تعرفها.. قال أحدهم:

- أهلا يادكتورة أتذكرينني.. قالت:

- من.؟

- أنا هنا في الأمن وأنت أعطيتني كتابك.. قرأته كله.. جميل جدا يا دكتورة.

بلكنة فرنسية رقيقة وممطوطة قالت:

- مـــــــــــــرسِي.

واصلنا طريقنا حتى ركن معين اختارته وقالت:

- أنا أقعد هنا كلما أتيت.

فتحنا لفافة الطعام وأمسكت كل منا بساندويتش وبدأنا نأكل وأنا أتابعها كيف تقبل على القضم بشهية وقوة، كنت متعجبة وأنا أتأملها كيف غيرت أشجان قانون الطبيعة، صحيح أن كف الزمن رسم على وجهها لمساته الإضافية عن آخر مرة رأيتها، لكنه يرسم بفن خطوطا منتظمة لا شخبطات عشوائية، يبدو على جسدها ويديها العجز أكثر من وجهها،

فلا تزال لها بشرة ناعمة وفم مرسوم كالعنقود، أسنانها بحالة جيدة لم تفقد منها سنة ولا ضرسا، ولمعة عينيها لايزال بريقهما الأخاذ، لاحظت أن حدقتيهما لم يبهت لونهما رغم ضعف بصرها الذي تشكوه من زمن بعيد، شعرها مفرود مصبوغ بالأصفر مصفف إلى حد ما، كانت تمشي بجواري بخفة كعادتها يساعدها عليها قصر قامتها وقلة لحمها، ورغم ضعف جسدها لم تلجأ لعصاة تساعدها على التنقل، أما تقوس أعلى ظهرها فهو قديم بسبب عكوفها المستمر على الكتابة، ويتضح أنها لم تكن تجلس جلسة صحيحة، وأعتقد أن الذي عجل بهذا التقوس هو ضعف عينيها وهي لا تريد أن تلبس نظارة نظر؛ مكابرة وحتى لا تخفي جمال عينيها.

كنت وأنا أتأملها أتساءل: كثيرون يفقدون جمالهم الحسي الذي تتمتع به أشجان ويحتفظون بعقولهم، أشجان على العكس من ذلك، فقدت زينة العقل وأبقت على بعض زينة الجسد.

الذين معهم العقل يحزنون على فقد سِنَّة أو ضعف ركبة، أما من فقد العقل فلا يحزن على فقد شيء، بل لا يدرك ضياع هذا الشيء من عدمه.

نقَّلت نظري من على أشجان لما حولنا من جمال في المكان، وحسن اختيار هذا الركن البعيد عن العيون والضوضاء.

جاء النادل يرحب بها:

- مرحبا يا دكتورة.. ماذا تشربين؟

بكل ثقة وسابق خبرة قالت:

- عصير مانجو.

حول نظره نحوى فقلت قبل أن يسأل:

فتحت حقيبتها تبحث عن المائة جنيه.. وأخذت تبحث وتبحث وأنا صـــامتة ومترقبة، دارت يدها داخل الحقيبة عدة دورات، ثم بدأت تخرج ما في الحقيبة وتضـــعه أمامنا على المنضـــدة.. كمية أوراق، وخطاب من البنك والمحفظة والمشـــط والكبريت و.. أوراق كثيرة من فئة المائة جنيه!!

فوجئتُ بالنقود تندلق أمامي، أســـرعت بتغطيتها بكلتا يدي وبخطاب البنك وما يمكنني من أوراق بينما كان الرجل يضـــع المانجو وزجاجة المياه على الطاولة.

شكرته وانصرف وأنا على هذه الحال:

- ما هذا يا أشـــجان كيف تضـــعين كل هذا المبلغ في حقيبة يدك.. وكيف تخرجينه هكذا على الطاولة.. لك الحق أن تعودي بدونه.

لم تـأبـه لكلامي ولم تجـب.. بينمـا أخـذتُ أجمع لـهـا النقود وأرتبهـا وأعدهـا وعيوني تـدور حولي من حين لآخر أن يكون هناك من يترصـدنا، وحسـنًا فعلتْ باختيارها هذا الركن المنعزل والذي تغطيه هذه الشجرة الوارفة التي تصد الشمس أنَّى واجهتنا والعيون.

أحصيت المبلغ ثلاثة آلاف بالتمام غير المائة التي وجدتها قابعة وحدها في الجيب الصغير للحقيبة.

وضـــعتُ لها النقود في الظرف الخاص بالبنك وأريتها إياها من المرآة التي تكون في الظرف ويظهر منها اسم المرسل إليه:

- المبلغ ثلاثة آلاف يا أشـــجان، انظري ها هي، تضـــعينها بالبيت وكلما أردت الخروج تأخذين منها ورقة واحدة مثل هذه فقط.

كانت تهز رأسها بالموافقة وقالت:

- اقرئي خطاب البنك.. قلت:

- هذا خطاب يأتي من حين لآخر يقول لك ما دخل لك من معاش، وأنت تسحبينه أولا بأول، ومنه يبدو أن معاشك ثلاثة آلاف ونصف.. تاريخ استحقاق معاشك اليوم الخامس في الشهر. اليوم سبعة.. يعني لك يومين تخرجين بهذا المبلغ الكبير.

عيناها تعبران عن لا شيء.

- هيا ضعي أشياءك في الحقيبة قبل أن يأتي أحد، واجعلي المائة بيدك حتى تدفعي ثمن المانجو.

كانت تهز رأسها طاعة.. وتبتسم في سعادة.. ثم قالت:

- آخر مرة تقابلنا لما أنا جلست على الرصيف.. هتفتُ بسعادة:

- جميل جدا أنك تذكرين هذا.. وخبطنا كفينا ببعضهما.. ثم سألتها:

- ماذا تفعلين خلال يومك يا ملكة؟

تفاجأت بالرد:

- أنام

- وبعدما تستيقظين؟

- أبكي.

- تبكين؟!! لماذا؟.. أين الكتابة والقراءة.

- ماعدت أكتب ولا أقرأ.. فقط أنام وأبكي.

- والصلاة يا أشجان.. ألا تصلين وتقرئين القرآن.

- لا.

- لماذا لا تذهبين عند أقاربك الذين كنت تقتسمين معهم الأيام؟!

- من؟!.. أتعرفينهم!!

- لا لم تخبريني عن مكانهم.. ربما رضوى تعرفهم.

أشاحت بوجهها وقلبت شفتيها.. فقلت لها بهدوء:

- هل فكرت في دار المسنين.. قالت:

- فكرت لكن..لا أحبها كثيرا.

- توجد دور جيدة جدا ومستواها مرتفع والحمد لله معاشك يكفي وزيادة.

رفعت رأسها وقالت:

- أنا قلت لربنا: أنت دمرت حياتي.



٣- جحود

لم تأخذني الكلمة؛ فهي ليست مفاجأة بالنسبة لي، أعرف رأيها في ربها من قبل؛ فهي تعتقد أن ربنا ظلمها بسبب أحداث كثيرة مرت بحياتها أثرت على مستقبلها الذي كانت تطمح إليه وترجوه لنفسها، وبكونها تعيش وحيدة، خاصة بعد وفاة والدتها، فقد عاشت فترة من الزمن تزهو بنفسها أنها تفضل رعاية والدتها على الارتباط والزواج، وبعد وفاتها بدأت تشعر بالوحدة وقد تخطت الستين وزيادة فلم تلُم نفسها، ولم تذكر تعاليها على الزواج، ولم تجد غير ربها تلقي عليه باللوم والعتب.

سبق أن تناقشنا في هذا الأمر كثيرا.. ونهرتها عليه مرارا، وكثيرا ما كان سببا في ابتعاد الكثيرات من صديقاتها عنها، واتهمنها بالإلحاد تارة وبالجحود تارة، وبعدم شكر النعمة تارة ثالثة.

فكم كنا في غاية الدهشة من تصرفها عندما جاءها فرصة الحج ولم تذهب إليه:

- كيف هذا يا أشجان؟! أنت التي قدمت على الحج وها قد كرَّمك الله وفضلك على كثير من خلقه، وجاء به إليك سهلا!

كان ردها غريبا:

- كيف أذهب؟ لأموت هناك وحيدة؟! فيغسلني أناس أغراب ويدفنونني هناك في مكان لا أعرفه!!

منطق غريب فشلنا في زحزحتها عنه.. وكم مشيت من عندها غاضبة مقررة عدم معرفتها وعدم زيارتها مرة أخرى، ثم أحن إليها فأتصل بها.. هذه المرة تقبلت كلمتها بهدوء وقلت لها:

- سـيقول لك الله أنه خلقك جميلة وكثيرون غيرك يتمنون رقتك وثقافتك، وخلق لك أهلا وأبقى حياتك حتى اليوم مرفهة ومحمية من الأمراض المزمنة.. لك راتب شـهري وعندك بيت تنامين فيه، وكثيرون ينامون بالشارع.. و

قاطعتني قائلة:

- وأعيش وحيدة بلا أسرة ولا أولاد.

- ومن تمرد على الزواج.. ألسـت أنتِ!! غرورا بمركزك وبجمالك.. كان يتنافس عليك الوزير والمدير ورفضـتهم جميعا بلا ترو.. ودونت ذلك في مؤلفاتك، أكثر من مائة خاطب رغب فيك ولكن ترددك حال دون إتمام أي مشروع لزيجة منها!!

أنسـيتِ أنه عقد قرانك لمدة نصـف سـاعة فقط!! بعدها صرخت وبكيتِ وصممت على الانفصال.. وأمام حضور الفرح تم الطلاق، ولما سألك المأذون عن السبب قلت بكل عجرفة:

- بمجرد أن عقد القران ظن أنه امتلكني.. ثم تلومين الله الآن أنه دمر حياتك!!

هذا كفر يا صـديقتي اسـتغفري الله منه، ولو فكرت قليلا لوجدت أن الحسنات كلها من عند الله والسيئة منك أنت.

- أعرف أنك ستدافعين عن ربنا.

تفاجأت بردها فاندفعت قائلة:

- حاشا لله.. كيف أدافع عن خالقي وخالق الكون.. العكس هو الصحيح، «إن الله يدافع عن الذين آمنوا».

ثم مادمت تعترفين أنه ربنا وأنه دمر حياتك ففي إمكانه أن يصلح آخرتك، استغفري ربك حتى لا تخسري آخرتك كدنياك.

صحيح أن كلامها أشعل النيران في دمي وهبت علي سخونة من فورانه.. لكنني صالحت نفسي بنفسي وذكرتها بأنني أعمل فيها خدمة لله فلابد من التحمل.. تمددت في جلستي على الكرسي مع أخذ نفس عميق أستنشق به قدرا أكبر من الهواء المحمل برائحة الزهور يزيح حرارة صدري، فالحديقة تلبس حلة مزهرة استعدادا لموسم الربيع.. ولما شعرت ببعض الهدوء نهضت واقفة:

- هيا بنا.
- إلى أين.. دعينا نبقى هنا.
- إلى بيتك أتوضأ وأصلي ثم نخرج مرة أخرى إذا أردت.

قامت ومشينا صامتتين.

أعترف أن دمي لايزال غاضبا من كلامها ومن الخوف على مصيرها بالدرجة الأولى.. فإذا كانت ترى أنها لم تستوف حظها من الحياة، فهي هكذا تسير نحو الهاوية بعد الممات.



٤- الكوافير

قبل أن نصل إلى بيتها وعلى ذات الرصيف فوجئت بها تدفع بابا وتدخل محلا.. كان محل الكوافير، استقبلوها بنصف اهتمام، الرجل يصفف شعر إحدى الزبونات، قال بنصف التفاتة ثم عاد إلى ما في يده:

- أهلا يا دكتورة تريدين تسريح شعرك؟

- جاءت البنت وفي يدها طست به ماء ساخن تذهب به لإحداهن القابعة هناك في ركن المحل قائلة لها وهي في طريقها لعملها:

- تريدين أن تستحمي؟!

صامتة مندهشة غير فاهمة.. نظرت إليها، لم تجب على أي من الأسئلة، واقتربت من الرجل وقالت له:

- أري صديقتي اللوحة.

قال الرجل:

- ليست هنا.. أخذتها إلى البيت.. هدية الدكتورة لابد أن تكون في بيتي.. استفهمت منه:

- أي لوحة؟!.. قال:

- الدكتورة أهدتني لوحة جميلة، أخذتها إلى بيتي تعبيرا عن شكري لها.. التفت إليها:

- وتريدين أن أراها.

- نعم.

- مرة أخرى إن شاء الله.

تركتني واستمرت تكلمه عن اللوحة :

- لقد سألت عنها وجدتها غالية الثمن جدا.

رد الرجل:

- ضروري؛ هدية الدكتورة لابد أن تكون قيمة.

تركتها تجادل الرجل فيبدو أنها تريد استرداد اللوحة لمَّا عرفت سعرها دورت بعيني في المحل حتى توقفت عند صورته المعلقة، فقارنتها به حاليًّا، فبدا مرور بعض الزمن وإن لم يكن كله.. سقطت عيني على البنت وهي تحك قدم الزبونة ويهتز جسدها الممتلئ مع حركة يديها.. ذهبت إليها أسألها:

- ما حكاية تستحمي التي قلتها؟!.. قالت:

- أخذتني لأحممها منذ شهرين.. ولم تستحم من بعدها.

- شهرين لم تستحم؟!!

- نعم.. وأكثر.

- لكن شعرها مصفف!!

- هي تأتي من حين لآخر تفرده وتسرحه.

عدت إليها لا تزال تجادل الرجل.. حسمت الموقف:

- الهدية لا ترد يا أشجان.. وأنت أم الكرم.. هيا بنا الوقت يدهمنا.

التفتت معي خارجة غير راضية وهي تسأل:

- أي وقت؟!

- وقت الصلاة.. الصلاة يادكتورة.

وصلنا بيتها وأسرعتُ بدخول الحمام، وجلست هي قريبة منه في انتظاري كعادتها، وأخذت تتابعني وأنا أستعد للصلاة، وانتظرت حتى انتهيت فقامت وفتحتْ باب الثلاجة، أخرجتْ علبة حلاوة طحينية، وقالت:

- تأكلين حلاوة؟

ابتسمتُ لها.. شعرت أنها تصالحني، أمسكت منها العلبة فلم أجدها ساقعة بل ساخنة قربتها من أنفي وأسرعت بابعادها:

- ماذا بها ثلاجتك لا تسقع الأشياء!!

فتحتُ الثلاجة وأسرعت بالابتعاد وسد أنفي، بها بقايا طعام وخبز وكل ما بها قد فسد وظهر عليه التعفن:

- الثلاجة لا تعمل يا أشجان وهذا الطعام فسد، أخرجي كل هذا وارميه في السلة.. قالت:

- لا هو جيد، أنا آكله.

- تأكلين خبزا معفنا.

- نعم!!.. نعمة ربنا.

- لا إله إلا الله.. ربنا لم يقل لك أهلكي نفسك.. هاتي كل هذا نرميه.

فلما وجدتها متمسكة به وتكرر الكلام من أنه صالح وأنها تأكله.. قلت لها:

- إذاً هيا نعطيه للبواب يأكله ونأتي لك بغيره جديدا.

فتحتْ شراعة الباب ونادتْ على البواب، ولم تنسَ أن تقول لي تأخري عن الشراعة حتى لا تحرج البواب وهي تتصدق عليه.. جاء الرجل يطل من الشراعة..

فقالت له:

- خذْ هذا الأكل والخبز كلْهُ.

قال الرجل:

- هذا معفن، سأرميه.. قالت:

- لا ترمه.. حرام.. أنا آكله.

غمزت له من خلفها أن يطيعها.. وقلت له:

- الثلاجة عطلانة، هات واحداً يصلحها وابقَ معه حتى ينتهي.. قال الرجل:

- حاضر إن شاء الله.. واستطرد:

- أنا لا أتركها وحدها.

ثم تعمد أن يسمعها ويخبرني ليضفي شرعية على ما يفعل:

أحيانا تحتاجني أدخل لأقلي لها بيضا وأحضر لها ما تريد من الخارج، لكنها مسكينة الوحدة صعبة جدا يا أستاذة.

- أكيد.. أكيد.. سنرى حلا إن شاء الله.. وسألته:

- من يزورها من أقاربها.

- لا أحد من أقاربها، ومن فترة كانت تأتي لها امرأة منتقبة، تنظفها وتسرح لها شعرها، وأحيانا تأتي لها بطعام من بيتها.. لكنها اختفت منذ فترة، لأن الدكتورة لم تفتح لها الباب.

أغلقتْ دونهُ شراعة الباب.. وسألتها:

- من هذه المرأة يا أشجان التي يقول عنها.

- من!!.. لا أعلم.. ربما الكوافيرة.

- يقول منتقبة.. هل الكوافيرة منتقبة.

- لا.. الكوافيرة جاءت وحممتني، أخذت فلوساً كتيرة.

ساد بيننا صمت قاطعته بقولي:

- والآن ماذا سنفعل.

- هيا نخرج لنشتري بعض الخبز والجبن، ونأتي لك بعصائر نضعها هنا على المنضدة تأكلين منها في أي وقت، ولا تضعيها في الثلاجة حتى يصلحها الرجل.

والآن ضعي كل جنيهاتك في الدولاب وهاتي ورقة واحدة نشتري منها الطعام.. قالت:

- لا دعيها في الحقيبة.

- خطأ يا حبيبتي تضيع منك في الشارع.. أنت تخرجينها كلما بحثت عن شيء.. اسمعي كلامي.. ضعيها في الدولاب.

دخلت حجرتها قليلا لا أدري ماذا فعلت وعادت لتجدني أتأمل الصور التي تملأ الحائط في غرفة الصالون.. عدة صور لها في شبابها إحداها بالأبيض والأسود، كل صورها جميلة؛ جمالها نادر، أتأمل تلك الصور كلما جئت إليها، لا أتذكر هذا الوجه البريء أنني رأيته في التليفزيون يوما يقدم برنامجا.

بجوار الصور عدد من البراويز تحمل ما حصلت عليه من الشهادات.. باللغتين العربية والإنجليزية.. شهادة التخرج ليسانس آداب اللغة الإنجليزية جامعة القاهرة، ماجستير الإعلام الجامعة الأمريكية بالقاهرة، الدكتوراه في الصحافة والنشر جامعة القاهرة، شهادة تقدير من مجلة حواء لاختيارها أفضل شخصية نسائية مصرية عام ألفين.

وأعرف أنـه كتبـت عنهـا موســـوعـة «من هو» الأمريكيـة للمهنيين في العالم، وموسوعة «ألف شخصـية نسـائية مصـرية» وهو ما شـجع مجلة حواء أن تمنحها شـهادة تقدير. في موسـوعة جينيس، وشـهادة أعرف أنـها باللغة التركية وكنا كلما وقفنا أمامها قرأتـها لنا.

جاء صوتـها من خلفي:

- جميلة الصور؟!

- جدا.. جدا.. اقرئي هذه الشهادة يا أشجان.

- لا أستطيع قراءتها.

- لماذا أنت قرأتها لي من قبل وتجيدين لغات كثيرة غيرها.

- نسيتها كلها.

كثيرا ما وقفت أمام هذه الصور وسألتها:

- أنــا أعرف التليفزيون من بـدايتــه لا أتـذكرك كمـذيعـة تليفزيون.. تصحح لي المعلومة:

- مقدمة برامج.

- لا أعرف الفرق، لكن كيف لا أتذكرك!!

- ربما قِصر المدة هو السبب.

الآن هي نفسها لا تتذكر تاريخها.. استدرت لها قائلة:

- هيا بنا.

أغلقت الباب كما أغلقته سابقا عدة سكات ثم هزته عدة هزات ولما تأكدت من قفله جيدا ســـحبت منه المفتاح، واتجهنا ناحية السلم:

سحبت من يدها المفاتيح في دهشة:

- ما كل هذه المفاتيح يا أشجان.

وبدأت أتأملها؛ ست نسخ من مفتاح باب الشقة، زائد مفاتيح الدولاب وأي شيء يمكن قفله في شقتها.

نعلم من زمن أنها تغلق الدولاب والنيش وكل شيء عندها بالمفتاح رغم أنها وحدها في البيت وتقول:

- هذه عادتي.

حتى أنها قد تقوم عدة مرات تطمئن أن الدولاب مغلقٌ جيدا:

- ولكن كيف يا أشجان تخرجين بكل هذه المفاتيح.. قد تضيع منك.

- ماذا أفعل!!

- اتركيها في البيت وخذي واحدا.. أليس لك جارة تثقين بها تضعين عندها نسخة مفتاح.

- لا أثق في أحد.



٥- بائع الورد

صديقتي بالفعل لا تثق في أحد.. وقد عاشت طوال عمرها بلا أحد.. وعرفنا طبعها فتعاملنا معها عليه، فلا أحد يجرؤ أن يمد يده على شـــيء لها قبل أن تأذن هي، ولا يتحرك من مكانه في بيتها أو يذهب للحمام قبل أن يستأذن وتصحبه وتجلس قريبة من الحمام حتى يخرج وتعود به إلى مجلسه في الصالون.

هذا اليوم مختلف بالنسـبة لتصـرفي معها، فما جئت لرؤيتها سـاعة وأعود، ولكن جئت لمسـاعدتها والوقوف علي حالتها ورؤية ما يجب فعله، فسـمحت لنفسـي أن أمسـك حقيبة يدها وأعرف ما بها، وأفتح ثلاجتها وألقي ما بها، والآن آخذ مفاتيحها وأتبين ما تحمله.

أخذنا الكلام حتى وجدنا أنفســنا أمام فاترينة الورد، أو أنها كانت تقودني إليها علي الأرجح.. خرج رجل من الداخل رآنا من الزجاج.. بادرني قائلا:

- أنت قريبتها؟!

- صديقتها.

- أين أقرباؤها!.. كيف يتركونها هكذا؟!

- أتعرفها؟!

- نعم.. من سنوات طويلة.. تفضلا.

جلسـنا في المكان الذي أشـارت إليه من قبل بجوار المحل وســور لحديقة فيللا ربما تكون مهجورة.. وســألنا الرجل: ماذا نشرب.. فلما قلت له شكرا قالت:

- أنت تعرف مشروبي.

أشـــار لعامل المقهى الذي عرضــت عليَّ من قبل الجلوس فيه، وهو عند الرصــــيف المقابل للمحل.. جاء العامل فقال له مشروب الدكتورة وشاي للأستاذة.. قال العامل:

- عيني للدكتورة.

أدركت أنها معروفة للجميع منذ شبابها أو منتصف حياتها بحكم الجيرة، وهم يعاملونها الآن بما كان من ماضــيها معهم من كرم وسخاء.. سألت الرجل:

- ماذا ترى؟!

- لابد أن يأتي أحد من أقاربها، لابد لها من خادمة يكون معها مفتاح للشقة تأتيها في الصباح تنظف لها البيت وتعمل لها الأكل ولا مانع من أن تذهب لبيتها آخر اليوم.. واستطرد قائلا:

من ســنة فقط تدهورت حالتها، صــارت تنســى وتضــيع نقودها.. فتمضي الشهر شبه متسولة.. وأكمل:

نحن لا نتركهــا والله.. نعرف أنهــا دكتورة كبيرة وبنـت ناس، ونعرف أن لها معاشــا كبيرا.. لكن لا ندري أين يذهب منها بمجرد أن تقبضه.. فقلت له:

- في حقيبتها الآن ثلاثة آلاف جنيه.. قال:

- ربما تسلمت معاشــها اليوم أو أمس.. غدا لن تجديه معها.. هذا ما حدث الشهر الماضي والذي قبله.. ونقسم بالله أننا نراعيها بما يرضي الله ونتمنى لها الخير.

جاء المشـــروب فكم ندمت أنني لم أطلب مثلها.. مشـــروب الدكتورة كوكتيل به كل الفواكه كل لون فوق الآخر ومزين حافة الكوب بقطع الفراولة والتفاح.. هات الشاي الذي يقطع النفس.

عدنا للحوار.. قال الرجل:

- زوجتي تراعيها بإخلاص ولوجه الله، تذهب إليها في البيت تغسـل لها وجهها وتطعمها وتؤنسـها بعض الوقت، ولكن باقي الوقت وما أطوله هي وحيدة.

- البواب يقول إن امرأة منتقبة كانت تزورها، لكنها انقطعت عنها من فترة.

- هي زوجتي.

- ولماذا انقطعت عنها؟!

- هي لم تنقطع عنها، الدكتورة، لم تفتح لها الباب مرتين.. وهكذا تفعل مع أي أحد لا تريد مقابلته.

لم أفهم سر هذا التصرف الغريب من أشجان، والست تأتي لخدمتها!! سألته عن اسم زوجته وعرفت أن اسمها حنان، فالتفت إلى أشجان أسألها:

- لماذا يا أشجان لم تفتحي لحنان الباب.. قالت:

- هو السبب!.. نظرت إليه مستفهمة، فقال:

- لأنني طلبت منها الزواج.



٦- مشروع زواج

كانت أشجان تشرب العصير بتلذذ وتدير لسانها حول شفتيها بعد كل شفطة وتسمع حوارنا ولا تعلق إلا بهزات عشوائية من رأسها، ولما سمعتْ كلمة الزواج انتبهت عيناها وانفرجت أساريرها.

ولكن الجملة صدمتني مما جعلني أتأمله.. ويلفت نظري النمش الكثير في وجهه، وتلوُّن عينيه وكثرة حركتها، وصفرة شعره الطويل، وارتفاع فكّه الأعلى قليلا بارتفاع أسنانه مما أعطى لفمه تدويرة مميزة.

قدرت أنه في منتصف الأربعينيات، وهي أوشكت أن تُجهز على نهاية السبعينيات.. فقلت له بدهشة:

- الزواج ممن؟!.. هذه!!

اعتدل في جلسته واكتسي وجهه علامات الجد والقناعة وقال:

- يعلم الله أنني غير طامع بها ولا بأموالها.

- أموالها؟! ألها أموال غير معاشها؟!

- نعم عندها الكثير.. لقد دارت معها زوجتي على البنوك وعرفت ما عندها.

- وماذا عرفت؟!

- أطلبها على التليفون وهي تقول لك بنفسها.

**

جاءٍ صوت المرأة ناعما صادقا حانيا كاسمها.. قالت بعد أن تعرفتْ عليَّ:

- أرجوك هات أحد من أقاربها يتولى شئونها، بيتي سيخرب بسببها.

فهمت ما ترمي له.. فغيرت الكلام حتى لا أثبته ولا يتجه الحديث نحوه.. وسألتها:

- قال زوجك أنك درت معها على البنوك، فماذا عرفت عن أموالها؟ قالت:

- هي تأخذ معاشها من بنك مصر، حوالي ثلاثة آلاف ونصف.. ثم معاش اتحاد الكتاب من بنك القاهرة.. مائتي جنيه.. ولها شهادات في البنك الأهلي تأتي لها بربح ثلاثة آلاف أخرى كل ثلاثة أشهر، ثم شهادات أخرى شهرية حوالي ثلاثمائة جنيه شهريا.. ومعها شهادات من بنك التنمية لا أعرف عائدها.

هذه الشهادات أنا قرأتها في بيتها ووضعتها لها في ظرف بني في دولاب حديد بين الحمام والمطبخ ومفاتيحه معها.

واستطردت:

هي تعرف مواعيد صرف كل شيء وطريق الذهاب إليه بالتمام.

ثم أكملت:

ذهبت معها من يومين وصرفت المعاش أمامي.. لكن لا نعرف أين تذهب نقودها بعد ذلك.

قلت لها:

- البواب يقول أنك انقطعت عن زيارتها، أو كما يقول زوجك أنها لم تفتح لك الباب، فكيف ذهبت معها إلى البنك من يومين.. قالت:

- نعم هذه حقيقة، لكنها من يومين جاءت لي في المحل.. وصممت أن أذهب معها.

دعوتها لأن تكمل جميلها ولا تتعامل معها بحساسية خاصة واتفقت معها أن نتقابل في شقة أشجان بعد خمسة أيام.

أغلقت الخط مع حنان لأفتحه مع زوجها.. وما زالت الدهشة تسيطر عليَّ؛ كيف لرجل يطلب الزواج من واحدة في نهاية السبعين مصابة ببدايات الزهايمر ويصغرها بثلاثين سنة على الأقل لأسأله:

- ما حكاية الزواج هذه؟!.. قال:

- أقسمت لك بالله أنني غير طامع فيها، أنا غير محتاج؛ هذا محلي، يكسب والحمد لله، وتلك سيارتي، ولي بيت أملكه في منطقة فيصل، ولي ابنة تزوجت قريبا من محام محترم، وولد تخرج ويعمل في القرية الذكية، والحمد لله مستورة معي.. كل ما أريده أن يكون لي الحق في تجميع أموالها بدلا من أن تروح عليها للحكومة، وأعمل بها مشروعا خيريا باسمها يكون صدقة جارية على روحها.

ثم التفت إليها يدغدغها:

- ونذهب معا للحج، وتلبسين الحجاب هكذا مثل صديقتك.

لمعت عيناها ونظرت إليَّ وكأنها تسألني الرأي، أو تطلب مني المباركة.. تجاهلتها والتفت إليه:

- يبدو أنها منشرحة لهذا الموضوع وتتقبله بسهولة.

- نعم.. وكلما فتحته معها تنشرح وتجادلني في التفاصيل، وتسألني عن الأسباب التي جعلتني أختارها هي بالذات.

- واضح أنك تتبع سياسة «الدوي على الأذن».

هز رأسه نفيا:

- لو كانت نيتي سيئة لأخذتها وعقدت عليها وما قلت لك.. لكنني منتظر أي أحد من طرفها.

- على كلٍّ موضوع الزواج لابد أن يوافق عليه أهلها وهم كثر على حد علمي.. وسأعمل كل جهدي للوصول إليهم.. والآن وحتى نعرف طريقهم لابد من حل سريع، لقد عرضت عليها فكرة دار المسنين.. فما رأيك؟!

- ما في مشكلة.. أنا معكم في أي شيء فيه صالحها.

- إذن دلني على أقرب دار مسنين من هنا.

في الشارع الذي وراءنا.. اسألي عن محل مترو.. هناك دار مسنين جيدة.. سألتها:

- أتأتين معي نبحث عن دار مسنين؟!

وافقت.. فأخذتها ومشينا في الاتجاه الذي وصفه لنا.



٧- دار مسنين

ظللنا نمشـــي ونمشـــي وكلما ســألنا عن محل مترو يقولون قدام.. كانت أرجلنا كأجولة الرمل نجرها بكل قوتنا، نمشـــي كثيرا ثم نريح أجولتنا على الرصيف ونحن فوقها نستريح قليلاً ثم نكمل جرها بعناء، فهي عجوز وأنا عجوز ولا عزاء.

تذكرتُ من فترة ليست بالطويلة كنا نمشي معا، وكانت أكثر مني رشاقة، تطلع الرصيف وتنزل منه بسهولة ونعومة رغم الســنوات التي تعدت العشــر الفارقة بيننا.. كانت تقول لي: أنا أرشق منك.. ولما سألتها عن السبب قالت:

- كلي خضرة كثيرة وفواكه طبيعية.

الآن نعاني معا من ارتفاع الرصـــيف الذي لا يراعون فيه كبار الســـن، تأخذ يدي وآخذ يدها ونتابع معا مشـــوارا طويلا بدأناه مشيا ولا سبيل للرجوع.

أخيرا وصـلنا إلى المحل وتلفتنا حولنا عســى أن نجد لافتة تدل على وجود دار المسنين فلم نجد، ثم سألنا عاملاً بالمحل يقف عند بابه يساعد في تحميل بعض الكراتين المحملة بالبضاعة:

- هل تعرف دارا للمسنين هنا؟!

هز رأســـه بالنفي، قال رجل كان يهم بدخول المحل راعه حالنا:

- انتظراني أسأل لكما.

أتوا لنا بكرسـي أجلستها عليه ووقفت إلى جوارها أبدل ساقا بأخرى، غاب الرجل بعض الوقت وعاد يقول:

- لا يوجد دار مسنين في هذا المكان.

وما العمل يا صديقتي لا سبيل سوى الرجوع من حيث أتينا وبذات الطريقة المنهكة؛ المشـــي حتى الموت، ثم الجلوس في الشارع حتى التقاط الأنفاس، فنحن في طريق عكس المواصلات، ولا توجد خبرة لدي بالمنطقة كي أختصر الطريق.

تابعنا ســيرنا ووقوفنا وجلوســنا وانهاكنا حتى عدنا لمحل الورد.

اندلقنا على الكراســي منهكتين.. بادرته مســتاءة ومنقطع نفسي:

- المشــوار طويل جدا.. كيف ترســلنا إليه وأنت تعرف طوله؟!!

- خِفت أن تقولي أنني لا أريدها تدخل دار مســنين من أجل نفسي.

- فتعذبنا هكذا!! ثم أننا لم نجد شيئا مما قلت.

قال:

- أقول لك حلا.

- تفضل.

- أ ما قلتِ لزوجتي أنك ســتأتين بعد خمســة أيام، تعالي يوم الاثنين مبكرةَ آخذك أنت وهي بسيارتي إلى دار مسنين جيدة في المهندسين.. وتأتي حنان لتقف في المحل حتى نعود.

- اتفقنا.. سآتي يوم الاثنين بإذن الله.

هدأت أنفاسنا قليلا وعادت لي بعض الهمة فنهضت واقفة:

والآن ياعزيزتي تعالي أوصلك إلى بيتك وأذهب إلى بيتي لقد اتصلوا بي عشرين مرة وكل مرة أقول لهم حاضر سآتي حالا.

في الطريق اشـــتريت لها خبزا وجبنة رومي وبيضـــا، وبعض العصائر والشيكولاتة وعند باب شقتها خطر لي سؤال:

- مازلت لم أعرف لماذا لم تفتحي لزوجته الباب بعد كل ما قدمته لك من خدمات.. قالت:

- أنت سمعته؟!

- نعم سـمعته.. أنا أسـألك عنها هي، لماذا لم تفتحي لها الباب عدة مرات.

- تفتكر أني سآخذ زوجها.

- فهمتك.. ماشاء الله عليك.. أنت تمام.. هيا ادخلي.

أوصـيتها للمرة العاشـرة قبل أن تدخل شـقتها أن تضـع نقودها في الدولاب، وأن تنتبه لنفســها ويوم الاثنين ســآتي أنا ورضوى ونأخذك لدار المسنين، وستكونين مبسوطة جدا، ونحن لن نتركك أبدا.. وبمجرد أن تتغذي تغذية ســليمة ســيعود إليك التركيز وبعض النسيان الذي فقدته.

أمَّنت على كلامي.. ودخلت شـقتها وأغلقت الباب وسـمعت تكة المفتاح.

أوصيت البواب عليها وشجعته بثواب الله.. ثم أخذت تاكسي من أمام بيتها أخبرته باسم المكان الذي أريد، ورُحت في النوم.



٨- مراكز القوى

كان يوما عصيبا وطويلا.. وصلت عندها في العاشرة صباحا وعدت إلى بيتي في العاشرة مساء.

البيت قلقٌ من حالتي، يريدونني أن أنطق:

- أين كنت؟ وماذا فعلت؟!

قدمت لي ابنتي كوب الليمون وهي ترد عليهم نيابة عني، كانت عند صاحبتها أشجان.. أنا أعرفها وأعرف بيتها سيدة جميلة جدا

وأخيرا نطقتُ:

- شهران لم تستحم.

- لماذا يا أمي.

- لا أدري قد تكون خائفة من الماء، ولا تأكل إلا الخبز المعفن، وتنسى معظم تاريخها.

بكت ابنتي كثيرا وأنا أتابعها منهكة ولا أملك لها شيئا.. وكيف أسكتها وهي تعرفها جيدا واستمعت إلى بعض تاريخها الحافل منها شخصيا منذ سنوات.

كان هذا منذ أكثر من عشر سنين، وكانت هي بحالتها ولاتزال معها أمها وقد عزمتنا في نادي الجزيرة.. قالت ابنتي يومها:

- هذا أغلى ناد في مصر.

ردت عليها:

- مشتركين أيضا في النادي الأهلي.

دخلت أمها الجيم، وشـاهدناها تمارس الرياضـة برشـاقة رغم سنها الثمانينية ويزيد.. شـاهدت ابنتي سـيدة أخرى تمارس الرياضة ظلت تحدق فيها حتى عرفتها، فقالت:

- هذه ممثلة نعرفها.. قلتُ لها:

- نعم، برلنتي عبد الحميد.

خرجنا من الجيم وتركنا الأم تكمل رياضتها وجلسنا على مائدة في الحديقة وفتحت أنا الكلام:

- احكي يا أشجان لابنتي كيف كنت وماذا حدث لك.

قالت موجهة كلامها لابنتي:

- أنا خريجة إعلام، دفعة الإعلامية الشـهيرة «نشـوى الخليل».. عملت أنا وهي في التليفزيون المصـري.. كنت أقدم برامج جميلة وهادفة.. كان السـادات يطهر البلاد من مراكز القوى المحسوبين على النظام السابق، أبلغ عني رئيسي لأنني رفضت الزواج منه..

رفتوني من التليفزيون وأوجدوا لي وظيفة في هيئة الاستعلامات، شبه اقصاء، وقامت تلك الزميلة بتقديم برنامجي، لكن لا يمكنني حتى الأن التكهن بأن لها يدا في استبعادي.

يومها قلت لها:

- ولكن مراكز القوى انحصرت في الوزراء فقط:

وزير الدفاع محمد فوزي

وزير الداخلية شعراوي جمعة

وزير الإعلام محمد فائق

رئيس البرلمان محمد لبيب شقير

نائب رئيس الجمهورية علي صبري

قالت: وكثيرون غيرهم من التليفزيون كانوا مؤيدين للانقلاب على الحكم.. والعبرة بمن يشي بغيره.

أثرت القصة في ابنتي جدا وكان عمرها خمسة عشر عاما.. ظلت بعدها لسنوات تسألني عنها وتؤكد علي أن أظل على اتصال بها.

المرة الثانية التي تقابلتْ فيها معها كانت منذ خمس سنوات، عرفت أشجان يوم ميلادي فأصرت أن تقيم لي حفلا في بيتها.

اقتصر الحفل علينا نحن الأربعة، رابعتنا رضوى الصديقة المشتركة التي تعرف أشجان من قبلي وعرفتني عليها.

في هذا اليوم اكتمل عند ابنتي حبها لهذه الصديقة الكريمة الجميلة المظلومة منذ عشرينات عمرها، والتي رفضت الزواج من أعلى المناصب خوفا من تكرار المأساة.

فهذه المناصب المرتبطة بالسلطة يعتريها التغيير والغدر وتحكمها المصلحة، وهي في الوقت ذاته لا يناسبها الارتباط بمن هو دونها، فكانت ضحية وضعها الاجتماعي.

راحت عيني في نوم عميق، وتركت من يبكي يبكي وفي ذهني سؤال:

- كم أشعر بالتعب فماذا عنها.. لكنني أدركت أنه يوم سعيد وجديد بالنسبة لها خرجتْ فيه كثيرا ومشت كثيرا وتكلمت كثيرا في أشياء كثيرة، مما غير من لون يومها الممل.. بدليل أنها شكرتني وأنا أودعها وأقول لها انتبهي لنفسك.

قالت بدلال نعرفه فيها:

- مرسي على كل شيء.. كان يوما جميلا.

قلت لها:

- لقد تعبنا كثيرا أليس كذلك؟

قالت:

- لم أتعب.. متى ستأتين.

- يوم الاثنين كما اتفقنا.

- وعد؟

- وعد إن شاء الله.



٩- بين ثورتين

صـــباح اليوم التالي اتصـــلتُ برضـــوى وحكيت لها كل أحداث اليوم السابق، وأننا سوف نستأنف نشاطنا يوم الاثنين القادم بالبحث عن دار مسنين.. شكرتني رضوى بشدة وقالت:

- أنا الآن أعيد اكتشـــافك، ما حســـبت أنك تتعبين كل هذا التعب من أجل صديقتك.. سألتها:

- ماذا تعرفين عن صاحب الورد وزوجته.. قالت:

- لا أعرف شيئا عنهما.. ربما شخصية جديدة في حياتها.

- فهمت أنها كل يوم صـباحا تذهب إليه.. يفطرها، والظهر تأتي لها زوجته بالغداء، لكنها غاضـــبة هذه الأيام لمَّا اتجه تفكير الرجل إلى الزواج منها.

- أكيد طمعان في أموالها.

- لماذا لا يكون حسن النية ويريد فعلا الخير لها.

- لا أحد يعمل الخير لوجه الله.

- ولكنه سـيذهب معنا للبحث عن دار مسـنين.. ولم يعترض على الفكرة.

- لابد أن يقول هذا.. على كل حال سآتي لكم يوم الاثنين.

- أندهش أنك لا تعرفينه، يقول إنه يعرفها من زمن بعيد، وإنها أيام ثورة ٢٥ يناير كانت تأتي إليه فرحة وتقول له سأذهب إلى التحرير، وتقفز في الأتوبيس من أمـام المحل وتعود آخر اليوم منهكة ولكنها سعيدة تحكي له الأحداث.

قالت رضوى:

- نعم كنا معا في ثورة ٢٥ يناير وطوال الأيام العشـــرين، كانت تأتي نشـــيطة جدا تهتف «عيش حرية عدالة اجتماعية»، وترمي بالطوب من يحاول إيذاء الثوار حتى انخلع كتفها وجرينا بها نحو المسعفين أعادوا لها المفصل، وعادت تستأنف نشاطها كما كانت، ويوم موقعة الجمل لم تهب الموقف، وقفت في وجه الجمل وراكبه وجذبته من ســاقه أوقعته على الأرض بقوة لم أدرِ من أين جاءتها.

كنا نتقابل في التحرير كل يوم وآخر اليوم تذهب كل واحدة في اتجاه بيتها.. وقد لا نجد مواصـــلات فنقطع المســافة مشــيا، ولكننا نعاود الكرة في اليوم التالي والتالي.

وتكمل رضوى كلامها:

لكن الحقيقة لم تحكِ لي مطلقا عن الورد وصــاحبه.. ربما لم يكن يعني لها شيئا وقتهاَ.

وتستطرد:

أما في الثلاثين من يونيه فقد بدأ الزهايمر يحث الخطى نحو عقلها، كما بدأ يفتر حماسـها نحو الأشـياء، طلبتها لكي تنزل معي فكانت لا تدرك تماما ما يحدث حولنا من أحداث لذلك لم تخرج في هذا اليوم.

- الحمد لله كتبت لها حســنة من حيث لا تدري ولا تحتســب، ماذا جنيتِ بخروجك غير إراقة الدماء!!

- كنا نريد التغيير.

- التغيير من أجل التغيير.

- الإخوان فشلة.

- نعم فشلة بحسن نيتهم فلم يتحسبوا للغدر.

- التخابر مع حماس وقطر.. أو مع العرب عموما يعد خيانة، لكن التخابر مع إسرائيل والذهاب إليهم ليست خيانة!!

- ودماء رجال الجيش والشــرطة التي تسـيل غزيرة على أرض سيناء وغيرها ألا تؤثر فيك؟!

- تؤثر فيَّ جدا وتملؤني بالغضب والنقمة علي فاعلها، ولكن من هو؟!!.. أيضــا معاناة أهلنا في ســيناء وعذاباتهم تسـتفز مشاعري ويملؤني بالحزن والقلق على مستقبل المنطقة.

- ومن المسئول عن إراقة تلك الدماء.

- المسئول نفسه عن إدخال أهل سيناء في صراع ليسوا طرفا فيه.

- تقصدين من؟!

- الذي هدم بيوتهم وهجرهم من أماكنهم، لمصلحة العدو.

- بالعكس الإخوان هم الذين بدؤوا بالغدر والإرهاب.

- بسرعة لجأت للشماعة تعلقين عليها الفشل والخيبة، أين هم الإخوان الآن!! إنهم ينعمون في سجون حديثة البنيان.

- تشكين في وطنية الرئيس؟!!

- أيعقل أن أشــك في واحد منذ أن تولى الحكم عنوة يعمل جاهدا على تحسين العلاقات المصرية الإسرائيلية.. وينشد معها السلام الدافئ.

واحد انحاز إلى إسـرائيل في عدوانها على غزة عام ٢٠١٤، وعلق إعادة إعمارها على شرط نزع سلاح المقاومة.

واحد قام بإخلاء الحدود الدولية من السـكان ليقيم المنطقة العازلة التي تتمناها إسرائيل منذ سنوات.

واحد جاء لهدم الدين الاسـلامي ويقول إن واحداً ونصـف مليار يهددون العالم.

صاحت رضوى:

- ما كل هذا!! أنت شامتة في بلدك؟!

- غبي من يشـمت في بلده لمجرد كرهه للحاكم، وأشـد منه مرضـا وغباء من يبرر كل الفسـاد الموجود والفشـل الملموس ويبحث عن شـماعة لمجرد حبه للحاكم، ويظن نفسـه هو الأكثر وطنية.

خففت رضوى من حدتها وكست صوتها الود، وقالت:

- أعرف أننا مختلفتان في هذه النقطة لكننا صـديقتان.. أليس كذلك، واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

- هذا كلام يقال، الحقيقة أن اختلاف الرأي يخلق قضـية من العدم ويعمل جاهدا على إفسـاد ودها، وهذا ما حدث بين الناس بعد الثورتين.

- أراك تعترفين أن ٣٠ يونيه ثورة!!

- نعم ثورة مضادة، مدبرة من أصحاب المصالح والطامعين.

- ليتني ما سألتك.

هدأتُ قليلا:

- على كل حال أنت ذهبت معها عند بعض أقاربها فعليك أن تدلينا عليهم.

- عندما نتقابل إن شاء الله نتصل بهم.. هي عندها نوتة كبيرة بها أسماء أقارب أبيها وأقارب أمها.

- المهم عندي أقارب الأب؛ هم العصب وهم الأحق بميراثها.

أغلقت الخط مع رضوى واتصلت بحنان:

- هل ذهبتِ لأشجان اليوم واطمأننت عليها.

- صراحة لا، خفت ألا تفتح لي.

- اتفقنا أن ننحي كل شـــيء جانبا مادمنا نعامل الله. وها نحن نسعى لإدخالها دار مسنين.

- حاضر يا أستاذة أذهب إليها غدا وأطمئنك عليها.

أغلقت التليفون مع حنان واتصـــلت بالبواب.. قال إنها لم تخرج اليوم من البيت.. فطلبت منه أن يدق الباب، ويعطيها التليفون وقد فعل.. تكلمت معها كثيرا وأوصـــيتها أن تفتح لحنان إذا جاءت.. لابد أن نطمئن عليك كلما سنحت لنا الفرصة.

كانت متجاوبة وسعيدة وتذكر يوم أمس وتسألني متى آتي لها، فأكدت عليها أنه يوم الاثنين إن شاء الله.

في اليوم التالي اتصـــلت بي حنان كما وعدتني، وكانت منزعجة جدا وأخبرتني أنها ذهبت إلي الدكتورة اليوم فوجدتها قد أكلت كل ما اشـــتريته لها، وجائعة، وليس معها نقود لتشـــتري طعاما.

- كيف يا حنان كان معها ثلاثة آلاف جنيه أول أمس.. هل بحثت في دولابها.

- لم أبحث يا أستاذة هي لا تسمح لأحد أن يفتح دولابها.. فقط نظرت في حقيبة يدها فلم أجد سوى بعض الفكة.

- اطمئني نقودها معها، ربما نسـيت مكانها.. نحن الآن لا نستأذنها يا حنان ابحثي في الدولاب.

- أنا تأخرت اليوم سـآتي لها غدا وأبحث في الدولاب.. واطمئني لقد أحضـرت لها طعاما يكفيها اليوم وغدا.. لا تشـغلي بالك عليها.

ظللت أفكر هل سنجد نقودها أم لا، هل هي في بيتها أم سرقها أحد، البواب يقول إنها لم تخرج البارحة، وبالطبع لم تخرج اليوم، إذاً فالنقود معها.

انشغلت بأمرها حتى أنها طاردت أحلامي كما تطارد يقظتي؛ وتذكرت قول الشاعر:

يا عاشق الليل ماذا أنت تنتظر؟

نامت عيون العذارى واختفى القمر

أخيرا خمد دمي في العروق فغفلت عيني.. حلمت بها تسـير في سـرداب طويل وأنا من ورائها.. أنادي عليها وهي لا تلتفت، ربما لم يصلها صوتي وإن كان يرن في أذني فيزعجني.

أنا منزعجة من صوتي عودي يا أشجان، عودي يا صديقتي لقد بح صوتي عليك.

التفتتْ ناحيتي ومدت يدها، ورغم بعد المسـافة فإن يدها طالت رقبتي وأطبقت عليها.

- لماذا يا أشجان لماذا يا صديقتي؟!

ولما زاد ضغطها على رقبتي صحوت من النوم.. كان الفجر يؤذن.. استغفرت الله وزاد قلقي عليها.. كيف أصل إليها الآن.. لا يمكنني الاتصال في هذا الوقت المبكر.. لا بالبواب ولا برضوى ولا بحنان.. ماذا أفعل.. كان الأذان يردد الصلاة خير من النوم.. نهضت لأستعد للصلاة وأنا أردد خيرا إن شاء الله.

ظللت أترقب انتصاف اليوم واتصال حنان حتى جاءني صوتها:

- لم أجد شيئا في الدولاب ولا في الأدراج.. وهي لا تدلني على أي شيء.. تقف كالبلهاء تقول لا يوجد لا يوجد.. المهم أنها سألتني عليك.

- حلمت حلما مفزعا ربما تتهمني فيه أنني السبب في ضياع أموالها، فقد كانت جنيهاتها في يدي.. ولكنني لم أكن أعرف ما الذي كان يجب عليَّ فعله.

- لا ذنب لك.. ربما خرجت بها وسقطت من حقيبتها.

لاحظت ابنتي حيرتي وأنا أدور حول نفسي وأحدثها، كيف يحدث هذا؟! أين ذهبت نقودها؟!!.. وكيف ستعيش!!

كانت ابنتي تحاول أن تهدِّئني، وأشارت علي بالاتصال برضوى لتتحمل دورها، فاتصلت بها وأخبرتها بما حدث.. فقالت ببرود:

- ألم أقل لك يوم قابلتها لم يكن معها نقود.. على كل حال بعد غد سنعرف ماذا حدث.

- بكل هذا البرود تتكلمين يا رضوى.. أنا أفكر في أن أذهب لها الآن.

- لا.. اهدئي؛ حنان وزوجها سيتوليان أمرها حتى نأتيها.
- ثم كيف سنعرف ما حدث وهي لا تعطي جملة مفيدة.
- ولكننا لن نغير في الأمر الواقع شيئا فاهدئي.
- اســـمعي يا رضـــوى نحن المســـئولتان عنها لا حنان ولا زوجها.
- كما ترين!!.. أنا تحت أمرك.
- أرى أن تدفع كل منا مائة جنيه في الأســـبوع ونعطيهما للرجل وزوجته، فهما اللذان يطعمانها والأقرب لها.
- حاضر.. إن شاء الله نفعل ذلك بعد غد.

صباح اليوم التالي اتصلت بالبواب، سألته عنها ثم طلبت منه أن يدق بابها حتى فتحت الشراعة، ناولها التليفون بادرتها:

- صباح الخير يا أشجان.
- منْ.
- الست هدى يا ملكة.
- آه.. تعالي.
- غدا إن شاء الله.
- وعد إن شاء الله.. هل أنت بخير.
- لا أعرف.
- بخير إن شاء الله.. سآتي غدا ومعي رضوى.
- من رضوى.
- ستعرفينها عندما ترينها.. سلام.

١٠- رضوى

رضوى صديقتها المقرَّبة وصندوقها الأسود، لا تمل أشجان من الإتيان لها بخطاب.. وتغضب منها وتخاصمها إذا رفضت عريسا أتت به، وتقول لها حينها:

لماذا ترفضين؟! أهو الملقن الذي قال لك ارفضي.

ولم نعرف من هو الملقن الذي تتهمنا به دائما، وإذا سألناها عن المعْنى المقصود بالملقن تقول:

- الذي يراقبني ويسلطكم علي.

رضوى تصغرنا بكثير وهي مطلقة، تمردت على زوجها بسبب كلمة شعرت معها بالإهانة فكان لابد من أن تثأر لكرامتها بطلب الطلاق والإصرار عليه.

تزوجته صغيرة جدا وهو كبير جدا، أصغر بناته أكبر منها؛ بهرها اسمه اللامع، وصوته الساحر الذي ينساب عبر الأثير يقدم الحكمة والكلمة الواعية، وبهره جمالها وطفولتها؛ لما رآها لأول وهلة قال في نفسه: أريد أن أحب هذه الجميلة.. أصاب رمشها قلبه فقاومه بوقاره ومركزه.. بات وقام غير قادر على المقاومة فوجد نفسه يطرق بابهم..

الأهل قالوا: الفرق كبير جدا.

البنت قالت: أريد الفرق الأخر.. فرق الخبرة والمركز والأبهة.

من قال ما تملكه اليد تزهده النفس.. لكي نحيِّه ونقول له صدقت.

لما تزوجها ومر كثير من الوقت نسي ملاحة وجهها واستدارة جسدها.. نسي بضاضة بشرتها وسحر نظرتها.. نسي انسيابية شعرها وقدَّها.. نسي حتى روحها المرحة وخفة ظلِّها.. ومع الاعتياد نسي حبَّه لها الذي لم يصمد طويلا أمام حبَّه لنفسه.

علمها الطاعة فكانت تلبي أوامره سعيدة، كانت تساعده في إعداد البرنامج، وتهتم ببيتها من أجله وتتفانى لإرضائه، اعتبره حقا مكتسبا، وواجبها المقدس، فأعطاه هذا الثقة والأمان من ناحيتها، لذلك اندهش لما وجدها لا تصبر على كلمة تفوه بها عفوا أو استهتارا ظنا بأنه الزوج الذي بيده عقدة النكاح، والذي بإمكانه أن يستوعب المواقف والقادر على أن يرضيها بكلمتين وينتهي أي موقف كما حدث مرارا في مواقف كثيرة قبله شبت وانتهت.

هذه المرة كان جرحها هو الذي يحركها ويقويها لأن الإهانة كانت أمام بناته، فقررت أن تجابه ذلك العملاق وتطلب لنفسها الخلاص.. الطلاق وتصر وتصر، وهي تعرف ماذا ستخسر بهذا القرار.

بعد محاولات كثيرة كان لها ما أرادت.. ولم تندم، يكفيها أنها قد كسرت غروره، وأثبتت له إنها لم تعد الدمية الصغيرة التي يلهو بها وقت فراغه.. وأثبتت لبناته أنها ليست بلا رأي ولا إرادة.

لم يشغلها أبدا أن تُقدم على زواج جديد، رغم كثرة من طلبوا يدها، فلا يهمها أن تعطيه درسا آخر بزواجها ممن هو أصغر منه، ولم يطرق نداء الأمومة أذنيها ولا قلبها فتسارع بالزواج لأجله، بل جربت الحرية والحياة بلا زوج فراقت لها الحياة هكذا وعشقتها.

عن نفسـي جلبت لها أكثر من شـخص مناسـب. في البداية لا تمانع، ولا مانع أيضـا من أن تكلمه مرة واثنتين في التليفون، ثم تمل منـه على البعـد فتتهرب.. فهـذا طبيـب نـاجح وثري خـالٍ من المسـئوليات، لم تغتر بمنصـبه ولا بجاهه، وذاك أديب زميلنا لمً تجد فيه رومانسـية الأديب الذي يمكنه أن يحتوي مشـاعرها، وذلك فلسـطيني يريد أن تفتح لـه الحدود ويتخطى المعابر بزواجه من مصـرية، ظننتُ أن فيه أحلامها؛ زواج بلا قيود، وافقت في البداية كما تفعل في كل مرة، فقبلت إضـافته لها على الفيس، وتبادلا الكلام والاتفاق، وكالعادة ماطلت وسـوفت ولم يكن لديها الوقت لتحادثه، فشعر بعدم رغبتها فانسحب، وقام بحظرها من قائمة أصدقائه وغيره وغيره.

أما أشجان فكانت أكثر مني صبرا ودأبا وحرصا واصرارا على تزويجها، فجاءت لها بالموظف الكبير والتاجر المعروف، والمثقف الواعي، ولم تضـن عليها بقريب أو مقرب، لتعترف رضـوى في نهاية الأمر أنها كرهت الحياة الزوجية بما فيها من قيود والتزام.. تقول:

- بعد أن جربت الحرية على اتساعها لا داعي لوضع نفسي في قفص الزوجية الضيق.. ولما قلت لها:

- تشـعرين أنك أسد وقفص الزوجية لا يصلح إلا للدجاج؟! ضحكت، وقالت:

- لقد عبرت عن إحساسي فعلا.

في النهاية صارت رضـوى وحيدة مثل أشجان الفرق أن رضـوى شـغلت نفسـها بأهلها، فإذا طلبناها وجدناها مع أخواتها في أفراحهم وأحزانهم، وأبناء أخواتها هم أبناؤها تشـملهم بالرعاية والاهتمام بشـكل مبالغ فيه حتى أنه عطلها عن كثير من الندوات واللقاءات، وحتى أننا فقدنا حماسنا في دعوتها لمثل هذه اللقاءات، نعرف مسبقا أنها لن تأتي، أما أشجان فقد عاشت وحيدة بعيدة عن أقربائها منذ البداية.

لا أعرف لماذا تذكرت تاريخ رضـــوى وســـردته أمامي في لحظات وهو الذي تجمع في ذهني على مر الســـنين مما أخرني عن النوم مبكرا، وعندي رحلة معاناة تبدأ في الصباح الباكر جدا مع أشجان؟!

١١- تسخر منا

جلســـت إلي أشـــجان أحاول أن أجمع كلماتها المتناثرة.. وكلما سألتها تقول:

- سرقهم.

- من؟

- البواب

- هل يدخل هنا؟!

- نعم يدخل.

- قال إنه يدخل المطبخ فقط.. هل فتح حقيبتك، هل دخل غرفتك.

- ربما.

***

غرقتُ في حَيْرتي حتى جاءت حنان.. رفعت النقاب عن وجهها فذكَّرتني بقول الشـــاعر في القصـــيدة اليتيمة التي راح ضحيَّتها قائلها:

فَالوَجهُ مثل الصُبحِ مبيضٌ والشعر مِثلَ اللَيلِ مُسوَدّ

ضِدّانِ لِما اسْتُجْمِعا حَسُنا وَالضِدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ

فهذه أول مرة أراها بعد كثير كلام بالتليفون.. أما ســواد شـــعرها الذي في القصـــيدة ينوب عنه خمارها الأســـود الذي يستجلب بدوره قول الشاعر:

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلت بناسك متعبِّد

سلَّمت على حنان وجلسنا فمالت نحوي أشجان وقالت:

- ما رأيك؟

- جميلة.

- لكنها بلدي.

- بمعني؟!

- ليست في مستواي.

أدركت ما ترمي إليه.. فهي تريد أن تقول إن الرجل لا تعجبه هذه البلدي ويبحث عن إنسانه راقية مثلها.. كانت حنان تشعر بالهمس بيننا، وبالطبع تشعر أنه بخصوصها، فقرَّرت الصمت حتى ينتهي.. ربَّتُّ على فخذ أشجان والتفت إلى حنان:

- أخيرا التقينا.

- نعم.. سعدت بلقائك.. هل بحثت في أي مكان؟!

أخبرتها بعدم جدوى البحث، وأخبرتني أنها الأخرى استاءت من هذا الأمر المتكرر.. وأكدت أنها تجد معها نقودا أحيانا تخرجها وتدفع بسخاء، وثاني يوم لا يكون معها أي نقود، فالتفت إلى أشجان:

- نتكلم صراحة يا أشجان.. أنت أديبة كبيرة ودكتورة ولك دخل كبير.. لا يصح أبدا أن يصرف عليك أي إنسان لا أنا ولا حنان ولا زوجها ولا أي أحد في الدنيا.

هذه النقود لابد منها لكي تعيشي عيشة كريمة.. لكي تتغذي جيدا لا تكتفين بسندوتش أو اثنين في اليوم.. فكري جيدا أين ذهبت نقودك، أين وضعتها.. فكري.

استمعت لكلامي بإصغاء تام كالمستوعبة الفاهمة المقدرة للأمر، ثم قامت واختفت قليلا بالداخل وعادت بشهادة استثمار ناولتها لي.. فاندهشت:

- ما هذا؟! وماذا أعمل بها؟!

قامت حنان وأخذت الورقة من يدي وقالت:

- هذه ضمن شهادات كثيرة جمعتها لها في ظرف بني اللون في الدولاب الحديد.

ذهبنا إلى الدولاب الحديد: افتحي هنا يا أشجان.

أخرجت رزمة المفاتيح من حقيبتها بهدوء واستسلام، وظلت تجرب مفتاحا وراء مفتاح حتى فتحت الدولاب.. وأشارت مسبقا قبل أن نبدأ النظر بداخله لا يوجد شيء، فبدت وكأنها تتهكم علينا.

بالفعل لم نجد الظرف المزعوم.. أين يا أشجان؛ تصنع بيديها وشفتيها ما يدل على أنها لا تعرف.. فنسألها:

- من أين أتيت بهذه الشهادة لا تعرف، تذكرت كلام رضوى هذا بيتها وهي التي تعرف مخابئه، لابد أن تتكلم إذا أرادت أن نساعدها.. ويتأصل لدي خاطر.. أنها بالتأكيد تسخر منا.

يدق الباب تدخل رضوى.. ترى الوجوم على وجوهنا.. تسأل عما حدث، نخبرها، تنفرج شفتاها عن ابتسامة من تعرفها جيدا من طول العشرة.

وتقول:

- هي تعرف ماذا تفعل.. ولن تصلوا معها لشيء.

- المهم أنها الآن ليس معها نقود ولما ضغطنا عليها وقلنا لها كيف ستعيشين طوال الشهر أتت بهذه الشهادة.

قالت رضوى:

- كما اتفقنا في التليفون.. سنتكفل بها هذا الشهر.

- ليست المشكلة في أكلها المشكلة أننا سنذهب بها الآن للبحث عن دار مسنين فلابد أن يكون معنا مبلغٌ كبيرٌ لإقامتها.

- لا مشكلة ولا شيء.. نرى الدار وننتظر أول الشهر.

- إذاً هاتِ لنا النوتة المدون بها تليفونات أقاربها.

قامت رضوى إلى أشجان، مسحت على ظهرها وتكلمت في أذنها لتشعرها بالمودة والخصوصية ونحن نسمع:

- هاتي نوتة التليفونات التي في الدولاب يا أشجان.

راحت في صمت وأتت بنوتة كبيرة مدون بها بنظام وترتيب أسماء أهل أبيها في ناحية، وأسماء أهل أمها في ناحية، أمسكت كل واحدة منا تليفونها المحمول نطلب الأرقام تلو بعضها.. لم يجبنا أيٌّ واحد منها.. قلت يأسا:

- سنعيد المحاولة فيما بعد.. الآن يجب أن نستعد للخروج.. فالرجل ينتظرنا.

قامت حنان وبللت منديلا وأخذت تمسح لها وجهها وهي تعترض على الطريقة التي تضر بالبشرة..

وتقول:

ليس هكذا؟! وأخذت منها المنديل تمســـح برفق في الاتجاه الأعلى.

لا تريد أن تتهدل بشرتها، نبتسم لبعضنا البعض في يأس ونجاريها.. ثم أحضــرت حنان المشــط وأخذت تمشّــط شــعرها برفق، وتقول لها:

- غيري هذا البالطو يا دكتورة..

أمسكت فيه بكلتا يديها وقالت:

-لا إنه جميل.

- البالطو الآخر أيضا جميل، هذا غير نظيف.

تتشبث أكثر به قائلة:

- لا إنه نظيف.

قلت لها:

- لقد رأيتك بتلك الهيئة منذ خمسة أيام.. ردت حنان:

- هي بتلك الهيئة من شهرين فأكثر.. سألتها:

- هل تنامين هكذا؟!

فلما قالت نعم نظرت للحذاء المقفل على قدميها بعدة أربطة:

- وتنامين بالحذاء أيضا؟!!

النعم التالية وقعت في قلبي وقوع الحجر في الماء.. حوقلت في سري، ودعوت الله أن يحسن خاتمتي، نظرت لرضوى وجدتها تحاول أن تساعد حنان في تصفيف شعرها وتتغزل فيه، حنان تعاتبها في مودة:

- رجوتك كثيرا لكي أحممك وأنت ترفضين.

تذكرتُ؛ لقد طلبت مني المرة الفائتة أن أحممها.. ولما قلت لها هيا.. قالت ليس الآن.. ما ظننت أن الأمر بهذا السوء.. إنه نوع من الاكتئاب.

قالت حنان التي انتهت من تسوية شعرها:

- الحمد لله أنها تعرف كيف تدخل الحمام.. هيا بنا عبد الحميد اتصل لقد تأخرنا.

وقفنا نتأملها وهي تغلق الباب جيدا وترجه عدة مرات ثم خرجنا من باب العمارة.



١٢- بداخلها أنثى

كانت حنان تتأبطها أمامنا وأنا ورضوى بالخلف أقول لها:

- هذه مشكلة كبيرة، ومادمنا عرفنا حالتها لايمكن أن نتخلى عنها.

لم ترد فقد وصلنا إلى فاترينة الورد، واستقبلنا عبد الحميد بترحاب كبير وقال لقد تأخرتن كثيرا، ثم نادى على صبي المقهى فأحضر الكراسي وسألنا ماذا نشرب رفضنا كالعادة فأصر أيضا كالعادة، وجاء الولد بالمشروبات كركديه وشاي وعصير الدكتورة.

جلس الرجل يعيد فكرة الزواج أمامنا جميعا، نظرتُ إلى زوجته وسألتها:

- هل أنت موافقة!!.. قالت:

- هو حر في حياته.. وأنا قلت له رأيي.

- نسمع رأيك.

قالت:

أنا أخدمها الآن لوجه الله.. لم تتح لي الظروف أن أخدم أمي الله يرحمها وأعوض هذا بخدمتي لها، أما إن كان يظن أنه يتزوجها ويجعلني أخدمها فبيت أهلي أولى بي.. التفتُّ إليه:

- زوجتك غير موافقة.

- هي تعرف أنه زواج شكلي لفعل الخير لا أكثر.. أليس لك في فعل الخير.

اندهشت من رأيه.. فقلت:

- أتخرب بيتك باسم فعل الخير.. ما رأيك يا أشجان.

ردت أشجان على الفور:

- اسأليها.

- أسأل من.

- هذه.

- هذه غير موافقة.

- لماذا؟!

- لأنها زوجته.

- أفهم أنك موافقة!!

صنعت علامتها السلبية.. التي تعني أنها لا تدري.. ثم اتجهت إليه تسأله:

- أنت تحبني؟

- بالطبع.

- لماذا؟

- أنت سيدة رقيقة، مهذبة ومثقفة.

فتنبري له بكل ثقة وتقول:

- وتريد أن ترفع مستواك الاجتماعي؟

- نعم.. أنت شيء كبير ومشرف.

كنا نتابع الحوار ونستشف إطلالة الأنثى من داخلها، فالتي في السابعة والسبعين بدون زواج، لم تمت الأنثى بداخلها.. وما زاد من دهشتنا حين التفتت إلى زوجته تقول لها:

- لماذا أنت غير موافقة.

فترد السيدة بكل أدب ومنطق:

- لأني تعبت في تربية أولادي، ولا أحب أن يمس أحدهم بكلمة.. قد يعير زوج ابنتي ابنتي بفعل والدها، وقد يخجل ابني أمام أترابه.. في الواقع هذا الوضع مهين لنا.

رمت أشجان بالقنبلة:

- لكن هو ليس سعيدا معك.

ابتسمت السيدة وقالت:

- يعني يرضيك أن نأتي أنا والأولاد ونجلس معك في شقتك!!

أسرعت تقول:

- لا.. هو فقط.. لأجل حقه الشرعي.



١٣- مشوار لم يتم

أســـقط في أيـدينـا جميعـا وعم الوجوم، حتى هو ألجمتـه المفاجأة، فأسرعت بالتدخل قبل أن يفلت الزمام أقول لها:

- أي زواج لا يصـح إلا بوجود أهلك.. وأرى أن نذهب بك لدار المســـنين الآن حتى نجد أي أحد من أولاد أعمامك لكي يوقع على عقد الزواج ليكون زواجا شـــرعيا صـــحيحا أليس كذلك!!.. هيا بنا.

كانت رضـــوى طوال الوقت صـــامتة متأملة الحوار بعينين مفتوحتين، ولما هممنا بالقيام قالت:

- اذهبوا أنتم وأنا أنتظركم هنا، ســـأبقى مع حنان لي معها كلام.

ركبنا ســـيارة عبد الحميد، أجلســـتها بجواره وانطلقنا إلى المهندسين.

في الطريق كانت تنظر إليه متفحصـــة.. تمد رقبتها للأمام لترى وجهه، وتعود بجســـدها للخلف لتتفحص ظهره ثم فوجئت بها تقول:

- أنت تلعب رياضة؟!

قال:

- أحيانًا.

- رشيق القوام.

وجه نظراته لي في المرآة ليرى مدى انتباهي وهو يقول لها:

- أعجبك!!

- أمممممممم.

نظرته لي في المرآة هذه المرة ليشــهدني عليها.. ادَّعيت عدم المبالاة وسألت:

- هل وصلنا.

شـــاهدنا الدار بجميع أقســـامها وعرفنا أنها في متناول يدها، وتخيرنـا الغرفـة التي تســـكن بهـا، وتفـاهمنـا مع المـديرة أننـا المسؤولون عنها حتى يظهر أحد أقاربها.

وقال عبد الحميد:

- وأنا مستعد لتحمل المصاريف من الآن إذا كان ممكنا.

كل هذا الوقت كانت تكرر كلمة واحدة تجاهلناها عدة مرات، فكلما قلنا لها ما رأيك في هذه الغرفة أو تلك.. تقول:

- لقد خدعتموني.

حتى اسـتقر بنا المقام في مكتب المديرة نتفاهم في التفاصـيل الأخيرة، كانت المديرة تتأملها وتقول يبدو أنها تحب التجميل، فهي تصبغ شعرها وتكويه.. أليس كذلك؟!

قلت لها:

- إنها إعلامية وكاتبة.

و.. وجاء صوتها:

- لقد خدعتموني.

- لماذا يا أشجان خدعناك.. وكيف؟!

- قلتم كلاما كاذبا.

- أي كلام تقصدين.

- كلام عن الزواج.

جملتها أوقفت الكلام على شـــفاهنا، اســـتأذنا من المديرة وانصرفنا.

كدنا نهم بركوب الســيارة حينما اتصــلت حنان تســأل ماذا فعلنا..

قلت لها:

- نحن في طريق العودة.. أعجبتها فكرة الزواج عن الدار.

قالت:

- تشاجرت أنا ورضوى ومشت.

أنزلنـا عبـد الحميـد أمـام محلـه.. تبـادلنـا النظرات أنـا وحنــان، وأشــرت لها أن نتحدث بالتليفون.. وأخذت أشــجان إلى بيتها.. وفي الطريق اشـــتريت لها خبزاً وحلاوة وموزا.. وأكياس شـــبســـي وشـــيكولاتة فرحت بها كثيرا.. وأثناء ذلك كنت أكلمها أن فكرة الزواج لا تليق بها لأنها دكتورة وكاتبة وهو بائع ورد، وأن لها أهلاً كثراً لهم مراكز كبيرة لا يسـعدهم هذا الزواج، ويرون أنه يقلل من قدرهم.

هي مســـتمعة جيدة لم توقفني عند أي جملة، ولم تعترض على كلامي حتى وصلنا بيتها.

وضــعت لها الأشــياء على المائدة.. وســألت البواب لماذا لم تحضر من يصلح الثلاجة.. قال:

- قالت ليس معي نقودٌ.

- أصلحها وحاسبني.

أعطيته خمسـين جنيها تحت الحسـاب.. وركبت تاكسـيا من أمام بيتها، وعظمي كله يئن من التعب.. أخبرت الســـائق باســـم المنطقة وأسدلت جفوني داعية لها بالنوم.

١٤- سر لا نعرفه

في اليوم التالي داهمني خاطر لا أعرف تفسـيره، ماذا قر في نفسـها من مشـوار وكلام الأمس، أسـرعت إليها مبكرة، دققت جرس الباب، فتحت الشـراعة، نظرت لي طويلا.. فلما قلت لها:

- افتحي.. قالت:
- أنت لخبطتِ لي الدنيا.
- كيف لخبطت لك الدنيا؟!!
- قلت لزوجته ترفض.
- لا هي ترفض وحدها.. افتحي الباب نتحدث.
- لا أجد المفاتيح.
- ابحثي عنها.
- لم أجدها.
- حسن.. المهم أني وجدتك بخير.. سلام.

صدق حدسي إذاً، فقد غضبت من كلامي، وهي إذا غضبت من شخص، إما أنها لا ترد من الأساس أو تدعي ضياع المفاتيح.

أسـرعت إلى البيت بهدف إعادة المحاولة في الاتصـال بأهلها، رن التليفون وكانت رضوى بادرتني منفعلة:

- لماذا ترفض هذه المجنونة زواجه منها.. هي أشـجان تمثل لها مصـدر غيرة.. أولا كبيرة في السـن، وهيكـل عظمي، ثم إنهم سـيسـتفيدون من دخلها ويرثون أملاكها.. أحاول أن أفهمها ذلك لا تفهم.

كنت أستمع لرضوى وهي تتكلم باقتناع وحماس ودفاع عن وجهة نظرها.. ويتراءى لي وجه أشجان وهي تقول لخبطتِ لي الدنيا، وتدعي ضياع المفتاح.. فقلت لها:

- أفهم أنك تؤيدين زواجها من رجل في الأربعينيات وهي كما تقولين بعد منتصف السبعينيات وهيكل عظمي ومصابة بالزهايمر.

- نعم.. حرام أن تجد الونس في آخر عمرها!!

- وماذا برأيك يعني الزواج بالنسبة له.

- طمعا في مالها وشقتها بكل تأكيد.. زواج مصلحة.

- تعرفين أنه طمعان وتوافقين.

- بالطبع، من أجلها، ألا ترينها كيف كانت تتكلم.. وكيف كانت سعيدة.

- نعم رأيت!! ورأيت كيف طالبت بحقها الشرعي.

- عاشت محرومة رغم توافر كل الممكنات.

- أتعرفين أنه لو ظهر أحد من أقاربها يمكنه أن يرفع عليه قضية تسجنه بتهمة استغلالها دون إرادتها.

- وأين هم أهلها.

- أنت من تقول هذا؟! وقد ذهبت معها عند كثير من أقاربها.. ألم تقولي لي إن أقارب أمها في منطقة الهرم، وأن آخر شارع الدقي ابن عمها له عيادة، وأن لها أقارب في بور سعيد والسويس.. الآن لا تعرفين طريقهم لأنك تريدين تزويجها.. وتتهمين السيدة التي تدافع عن حياتها بالجنون.

هدأت رضوى قليلا، وقالت:

- أنا فعلا ذهبت معها كثيرا عند أقاربها، كانت تعرفني بهم من ناحية وأحيانا لكي تزوجني من أحد أقاربها، لكن لا أعرف كيف أصل إليهم.

- ولماذا تتشاجرين مع حنان أليست حرة في أن تقبل بزواج زوجها أو ترفض.

- وماذا سينقصها؟!

- قالت سمعة أولادي.

- حجة فارغة.

- اعلمي أنني ذهبت إليها اليوم مبكرة.. ولم تفتح لي الباب، واتهمتني بأنني السبب في عرقلة زواجها.

- قلت لك هي تريد أن تعيش الحياة.

- على كل حال هذا الأمر يخص أهلها.. معي بعض التليفونات وسأعاود الاتصال حتى يرد أحدهم.. أنت أيضا اتصلي بالأرقام التي معك.

أغلقت الخط مع رضوى وشعرت أن عظامي تتعذب معي، وتقول لي: أنا أتعب من الجدل العقيم، وليس من الوقوف الطويل ولا المشي الكثير،

وظل عقلي يسألني:

مالها رضوى تصر على تزويجها رغم حالتها هذه، وتوافق على ذهاب مالها لشخص آخر دون أبناء عمومتها.. لابد أن بالأمر سرا.

١٥- ابنة خالها

جلست في سريري بعظامي الموجوعة، ونفسي المنهكة، وعقلي الحائر.. أمسكت التليفون وقلت يارب، ضغطت أزرار الرقم.. فسمعت الجرس كررت يارب، جاء صوت أنثوي يدل على طول عمره وضعف بنيته.. بادرتها:

- تعرفين واحدة اسمها أشجان المنياوي!!

- نعم، ابنة عمتي.. ماذا بها!!

- هي بخير.. أنا صديقتها.. هي تحتاج أحد من أقاربها يتولى رعايتها.. هل تعرفين أهل أبيها لنتصل بهم.

- لا والله لا أعرف عنهم شيئا.. هم في بورسعيد ولا يتصلون بنا.

- لها أقارب لديهم بنتان، كانت تمكث عندهم بعض الأيام.. من هم؟

- أنا وبناتي.

- ولماذا لم يستمر الاتصال بينكم.

- لا ندري؟! نحن لم نقصر معها أبدا.. هي تمل بسرعة وقررت وحدها عدم المجيء.

- أود أن أصف لك حالتها، هي شبه تائهة.. نقودها تضيع منها وأصابها قدر من الزهايمر. وهناك رجل يريد أن يتزوجها خدمة لوجه الله لكي يراعيها.. فما رأيكم.

- من هذا الرجل!!

- صاحب محل ورد.. صراحة هو وزوجته لا يتركانها.. تفطر معهم وتتغدى.

صاحت المرأة:

- أشجان الدكتورة ابنة سيادة المستشار تتزوج بياع ورد.

- أشجان اليوم غير أشجان التي تصفينها.. هي تحتاج من يراعيها.. يطعمها ينظفها يربت على كتفها.

- أنا أزورها كثيرا.. صحيح لي ستة أشهر لا أعرف عنها شيئا.. لأنني كنت مريضة وحدثت لي ظروف صعبة جدا.

واستأنفت:

- إن شاء الله أذهب لها غدا؛ سأطبخ لها أرزا وملوخية وأحمر لها دجاجة، وأطلب ابني يأتي معي بسيارته.. بكرة إن شاء الله أكون عندها.

- ستة أشهر ولم تلاحظي أن ذهنها تدهور وصحتها أيضا.

- صراحة أنا غضبت منها آخر مرة.. فقد حدث موقف معها ضايقني، كنت قد عرضت أن أشتري منها الصالون وقدرته هي بستمائة جنيه، وافقتُ وأعطيتها عربونا مائة جنيه، وقالت لن أعطيك الصالون حتى تسددي كل ثمنه، ولما عدت إليها بباقي المبلغ لكي آخذ الصالون، أنكرت الاتفاق وأنكرت أيضا أنها أخذت مني عربونا.

تبسمت في تهكم ولم أُرد الخوض في أمر تافه، نيته على غير ما يرام من الطرفين.. وقلت:

- أشياء بسيطة يتجاوز عنها الأهل، خاصة أنها ليست في وعيها تماما.. على كل حال غدا تذهبين إليها كما وعدتني.

- إن شاء الله.

اتصلت أول ما اتصلت بالبواب وأخبرته أن أهل الدكتورة سيأتون غدا وعليه أن يشرح لهم حالتها ويؤكد عليهم أن يأخذوها عندهم أو يتناوبون عليها بالزيارة ولا يتركونها وحيدة.

ثم اتصلت بعبد الحميد وأخبرته أنني توصلت لأهلها، وهم يرفضون فكرة الزواج تماما، وسيأتون لها غدا.

قال الرجل:

- المهم أنهم يديرون شئونها.. يعلم الله أنه لا يهمنا غير صالحها.

ولما علمت منه أن زوجته في بيتها أغلقت معه وطلبتها، طمأنتها أن أهلها رفضوا موضوع الزواج، وأنهم سيأتون لها غدا، وإن شاء الله تصير الأمور على خير حال.. ولا يشغلك كلام رضوى فهي عاطفية بعض الشيء، وتريد أن تسعد صديقتها.

قالت:

- صراحة أدهشتني ثورتها عليَّ واتهامها لي بالأنانية.. وقولها أنتم المستفيدون منها لا هي.. وتقول لي عند ميراثها من حقة نصف ثروتها بالحلال.. فقلت لها:

- قد ترثه هي.. الأعمار بيد الله لا بالكبير ولا بالصغير.

- والله يا حنان أنت «ست العاقلين».

- عاقلين!! ليته على كلام رضوى فقط، أيضا عبد الحميد تشاجر معي واتهمني بأنني ألبس النقاب للمنظرة به وليس عن طيبة وتدين، ولو كنت أفهم في الدين ما وقفت في وجه الخير، وأنه يجب عليَّ تشجيعه على الزواج منها لينالني ثواب الدنيا والآخرة.

وتكمل وهي تغالب دموعها:

كنت سأترك البيت أمس لولا أولادي وقفوا في وجهه، وحذره ابني من هذه الفعلة، لأن الغرض منها واضـــح ولا أحد في الدنيا يصدق أنها خالصة دون طمع.. وقال له:

- أنا صراحة لا يمكنني الدفاع عنك إذا لحقتك هذه الاتهامات.

أردت إسكاتها لشعوري أنها تتمادى في حزنها وخيبة أملها في زوجها.. فقلت:

- على كل حال ربنا يصلح حالها ولا نريد سوى راحتها.



١٦- حنان

ظننت أنني أنهيت الحوار وفي امكاني اغلاق الخط.. لكن أبدا حنان لم تُرد أن تغير الموضـــوع أو لم تســـتطع، يبدو أنها وجدت ضـــالتها في أن تبث شـــجونها، فقد عانت كبتا وتجملا كثيرا في هذا الأمر.. فاستمرت تقول:

تزوجته صــغيرة جدا طفلة تقريبا، رباني على يديه لا بالحب ولا بالقســـوة، إنما بالحيلة والخداع واســـتغلال عدم خبرتي في الحياة.

وقفت بجانبه في كل مشـــروع فتحه، نميل معا ونعتدل معا، حتى استقر على محل الورد الذي هو في الأساس مهنة أعمامه، يوميا أنزل المحل أقف معه أساعده، فكرت أن نبيع بجوار الورد الذي هو موســـمي بالدرجة الأولى، والذي كلما ضـــغطت الحياة على البشـر وكواهم الغلاء أثر ذلك على سـوق الورد، فكرت أن نبيع بجواره أشياء أخرى مثل العبايات

الحريمي واسـدالات الصـلاة، وبعض أدوات المكياج وأفرع الزينة لأعياد الميلاد والأفراح، فأذهب إلى العتبة والموســـكي والغورية ألف على قدمي وأشـــتري البضـــاعة التي يحتاجها المحل ويطلبها السوق، أحمل على رأسي وأعاني المواصلات، حتى أصل منهكة، وما أن ألتقط أنفاسي حتى أبدأ في رص هذه الأشياء في أماكنها، ما على الرف أضعه على الرف، وما يظهر من خلف الزجاج، أظهره في أجمل صورة.

- لماذا المواصلات يا حنان وعندكم سيارة؟!

تنهت فأخرجت جمر صدرها.. شعرت به عبر الهاتف وقالت:

- يذهب هو للمحل في الصباح بسيارته وآتي بعده بالمواصلات، فلابد من ترتيب البيت وتجهيز الطعام ومتابعة الأولاد حتى يذهب كل منهم لدرسه أو مدرسته أو عمله على مر السنين.

وبعد أن أؤدي واجبي أو ما علي في المحل أعود للبيت قبله بالمواصلات أيضا لأكمل إعداد الطعام واستقبال الأولاد، وحتي يأتي هو بسيارته فيجد بيته مرتبا وطعامه جاهزا، وابنيه متفوقين.. ثم بعد هذا كله يتهمني بعدم حبي للخير.

كنت محرجة من حنان.. ذوقها، رقتها ثم هي جميلة وشابة في أول الأربعين، أردت تغيير الموضوع فسألتها:

- قلت لي أنك قرأت عندها أوراقا كثيرة، ماذا وجدت في هذه الأوراق؟!

- مسحت دموعها وقالت:

- هل صحيح يا أستاذة، أنني بكلامي هذا عنه أكون قد وقعت تحت حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) يكفرن العشير.

شر البلية ما يضحك.. داهمتني بسمة مريرة وقلت لها:

- نحن بشر يا حنان ولابد من إخراج المكنون ليواصل الإنسان حياته، مادمت لم تتقولي عليه فأنت في حل من ذنبه.

قالت:

- الحمد لله.

داعبتها بمرح:

- ما حكايتك؟ تتهربين لكي لا تخبريني بما قرأت.

ضحكت ضحكة صغيرة

وقالت:

وجدت قضـــايا مرفوعة عليها من أولاد أعمامها، لأن والدها قبل وفاته كتب لها باعتبارها ابنته الوحيدة كل أملاكه بيعاً وشـــراءً، وهذا يحرم أبناء الأعمام، فهي عندها أملاكٌ وعقارات كثيرة جدا في الإســـكندرية، ولما مات والدها واكتشـــف أبناء الأعمام ذلك رفعوا عليها قضـــايا ودخلوا في جدل كبير أمام المحاكم، وهذا الأمر هو سبب ابتعادهم عنها.

- على رأيك ياحنان من يرث من، ها هي ســـتترك كل هذا أيضـا لأبناء عمومتها.. حقهم يعود إليهم ولو بعد حين.. زادك الله قناعة ورضا.

أوصـيت حنان أن تتجمل بالصـبر، وهاهي قريبتها سـتأتي لزيارتها غدا، وعليك أن تتابعي الزيارة وتخبريني بالنتيجة من باب الاطمئنان فقط.



١٧- العاشق الولهان

قبل أن أغلق مع حنان شــعرت أنها تريد أن تقول شــيئا ومتحرجة.. فلما عبرت لها عن إحساسي قالت:

- هناك شيء لا أعرف إذا كان من حقي البوح به أم لا.

- قولي وأنا أعرف ما شأنه.. قالت:

- وجدت خطابات غرامية من وزير كبير له اسم معروف، كان يحبها ويتمنى أن يتزوجها.. حتى أنه هددها بأنه سيسجن أو يقتل من يقترب منها.

- ما اسمه.

- ربما ممدوح، مدحت لا أذكر نســيت اســمه.. لكنه من الوزراء المعمرين في أماكنهم وقتها.

وأكملت:

- وكم من عاشــق ولهان، كلهم مديرون وعمداء وأصــحاب مراكز.

- نعم يا حنان، لقد عبرت في قصصها عن مثل هذا العاشق، وهذا شكل بعض شخصيتها، فقد ظلت خائفة مترقبة شاعرة أن هناك من يراقبها ومن سيؤذيها ومن يلقن ضدها.

أخيرا أغلقت الخط مع حنان وعمل ذهني في اتجاه العاشــق الولهان الجديد، عبد الحميد.

كل الدلائل تشــير أن عبد الحميد طمعان في مال أشــجان.. فشقتها قريبة من محله وفي حي راق.. كما أنه عرف من زوجته أن لها أملاكا في الإسكندرية، هذا غير شهادت الاستثمار.

لابد أن يقر في نفسي هذا المعني وإن كان ليس من عادتي الدخول في ضمائر الناس ودائما ألقي بالحجة على الراوي، وهاهي رضوى تجزم بطمعه ومع ذلك توافق على زواجه منها وتتمني له أن يحصل على نصف ثروتها، ولا أجد تفسيرا لتلك الرغبة الملحة عندها!!

المهم إن كانت أصابع الاتهام تشير إليه، فهي تعفي زوجته من المشاركة معه في نيته.

لأول يوم أنام مرتاحة البال.. فقد توصلت إلى قريبتها المقربة منها رحما وجيرة، والتي كانت تتواصل معها هي وأولادها.. وغدا تحل المشكلة نهائيا، وكما يتفقون هم أولى ببعضهم البعض والذي يريحهم يفعلونه؛ يجلسون معها في شقتها، يأخذونها عندهم.. المهم أنني أنجزت مهمتي على خير.

ومعي أيضا تليفون البواب لا مانع من أن أطمئن عليها من وقت لآخر من خلاله كما سبق وفعلت.

مر الغد وأنا أتخيل اللقاء بينهما وكيف سيسعدها هذا جدا.. وفي آخر اليوم اتصلت بالبواب وسألته هل جاء أهلها.. فأجاب بالإيجاب.. حمدت الله وسألته:

- كم واحداً.

- جاءت قريبتها؛ سيدة كبيرة وابنها كبير أيضا، كان معهما أكل كثير وفاكهة، ولكن لم يمكثوا طويلا، فقد جاء لهما تليفونٌ أفزعهما، يبدو أن للسيدة ابنة أصابها مكروه مما جعلها تسارع بالرحيل، وكانت تولول على ابنتها.

- عادي سيريان المشكلة ويعودان إليها إن شاء الله.

١٨- الله أعلم بالسرائر

بعد يومين خطر ببالي أنها وحيدة الآن وربما تكون جائعة.. ذهبت إليها دون المرور على محل الورد، ويبدو أنها نسيت أنني لخبطت حياتها، أو افتقدت مودتي، استقبلتني استقبالا جيدا.. أخذتها وخرجنا في الاتجاه الآخر حتى وصلنا عند تمثال أحمد شوقي.. أمامه محل أكل فاخر.

بينه وبين التمثال مكان منخفض دائري وله درجات..

نزلنا سلمة وجلسنا على الحافة مثلما يجلس الكثيرون من الشباب يتناولون طعامهم.. نادينا أحدهم وطلبنا سندوتشات الكفتة والبانيه والشاورما.. كان لنا استثناء من نظام اخدم نفسك بنفسك بحكم السن، فهناك من تكفل بإحضار الطعام حيث نجلس.. كانت تأكل بشهية سعيدة مستمتعة بالطعام، ومستمتعة أيضا بمن حولنا من شباب تتأملهم بإعجاب متابعة تحركاتهم حتى استقر بصرها على

حبيبين كانا يتهامسان، أشارت لي عليهما، تبسمت وقلت:

- ليت الشباب يعود يوما.. ألم تفعلي مثلهما يا أشجان.

هزت كتفيها بما لا يوحي بنعم أو بلا.. أكملت:

أردت أن أناغشها بموضوع عبد الحميد وأنسب لها الفضل في رفض الرجل:

- كل وقت وله أذان.. أنت الآن إنسانة كبيرة وعظيمة وتدركين ذلك.. كم سعدت بك لأنك رفضته بنفسك، بدليل أنك لم تفتحي لزوجته الباب، وكما قلتِ حتى لا تظن أنك تأخذين منها زوجها.. لسنا نحن يا أشجان من يأخذ الأزواج من زوجاتهن.. أليس كذلك.

هزت رأسها بالإيجاب.

ولا يليق بكاتبة مثلك أن تتزوج رجلا أقل منها في المستوى الاجتماعي.. أنت دكتوراه وهو بائع ورد.. أيصح هذا؟!

كانت تسمع ولا ترد.. وكلما شعرت أنها متجاوبة ومقتنعة أزيد في الكلام لأقنعها..

بعد أن أكلت واطمأننت عليها أوصلتها لشقتها، وأوصيتها على نفسها، ووعدتها أنني سآتي غدا وأغديها في ذات المكان أو في أحســن مكان تريده.. وهي تهز رأســها مؤمنة وموافقة على كلامي.

هذا كله كان عكس ما في ضـــميرها، إذ لما جئتها في اليوم التالي كما وعدتها، فعلت كما فعلت ســابقا، فتحت لي الشـــراعة وبادرتني بقولها:

- أنت لا تحبينني.
- لماذا لا أحبك؟!.. كنا أمس في غاية الانسجام.
- افتحي حتى نتكلم.
- ماعندي مفتاح.
- ابحثي عنه وسأنتظر.. راحت وجاءت:
- لم أجد شيئا.
- إذاً سلام.

ما أن وصلت إلى بيتي حتى اتصلت بالبواب وسألته عنها

قال:

- خرجت؛ وهي قاعدة الآن عند محل الورد.. شـــاهدتها منذ قليل وأنا أمر من أمام المحل.

غضبت منها ولم أرغب في الاتصال بها لعدة أيام متتالية ثم أردت أن أطمئن من اتصال أهلها بها.. اتصلت بالبواب فقال لم يأتها أحد من يومها.. فعدت أتصل به كل يوم وأسأل عنها فيقول:

خرجت اليوم، لم تخرج اليوم، جاءت السيدة المنتقبة لم تأتِ حتى قال:

- انتظم حالها الآن كل يوم الصبح تخرج وتجلس أمام محل الورد تتناول إفطارها وتعود، أحيانا تخرج بعد العصر وأحيانا لا تخرج.

اتصلت بعبد الحميد فكرر الكلام نفسه قائلا:

- تأتي في الصباح أطلب لها الفول والطعمية وهي تأكل ما شاء الله بشهية جيدة، والله أنتظرها دون إفطار حتى تأتي، أحيانا تأتي عصرا إذا شعرت بالجوع أو تكتفي بوجبة الإفطار حتى اليوم التالي.. قلت له:

- سيؤثر ذلك على صحتها وعلى عقلها أكثر.

- وماذا أفعل يا أستاذة.. هذا كل ما في وسعي.

- وبالطبع تعيد عليها أسطوانة الزواج.

- أقسم لك، هي التي تفتح السيرة.. تقول أنت وعدتني بشيء ولم تنفذه.

- كثر خيرك، جعله الله في ميزان حسناتك.. اكتب ما تصرفه وأنا أسدده لك.

- هل هذا كلام يا أستاذة.. نأخذ ثمن فعل الخير والله أبدا.

- وحنان لماذا لا تذهب إليها وتتابعها؟!

تنهد وقال:

- صــراحة أنا منعتها؛ لأننا ســمعنا كلاما جارحا من البواب قالته قريبتها ضايقنا، فقلت لها لا تدخلي بيتها.

- افعل ما يريحك.. أنا والله دافعت عنك وقلت إن نيتك طيبة وما تريد لها إلا الخير، حتى أنك أردت عمل مشـــروع خيري باسمها، ونويت لها حجاً وعمرة.

- الله أعلم بالســـرائر يا أســـتاذة، وكما ترين أهلها أتوا مرة واحدة ولم يعاودوها.

- ربما عندهم ظروف.. سيأتون، وانتبه لنفسك وقت المشكلة ســـيظهرون ويتهمونك بالكثير.. زوجتك تقول إن في أوراقها قضايا على الميراث.

- نعم، أفهم ما تقصدين.. اطمئني.



١٩- حيرة وعذاب

أغلقت الخط مع عبد الحميد و عاد القلق يســـاورني.. أنا الأخرى ظروفي لم تسمح أن أذهب إليها كثيرا، ورضوى هي الأخرى اختفت في دوامة أهلها.

قررت أن أذهب إليها الأربعاء القادم.. ولكن يوم الثلاثاء اتصلت بي حنان وكانت فزعة جدا:

- الحقي يا أســـتاذة.. الدكتورة.. رأيتها اليوم، كانت حالتها ســـيئة جداً وركبت ميكروباص من أمام المحل ولا نعرف إلى أين.. أنا خائفة عليها.

- سآتي حالا.

وصـــلت إلى المحل والتقيت بحنان التي قالت إنها لا تزال بالخارج.. أمضـــيت وقتا طويلا مع حنان وزوجها في انتظارها، انشغل ذهني حتى أنني لخبطت في الصلاة داخل المحل، وكنت من حين لآخر أذهب لبيتها ربما تكون قد جاءت، رغم أنهما يؤكدان أنها ستمر عليهما عند عودتها.. لكني لا أصبر وأقول قد لا تمر.

في كل مرة ألتقي بالبواب فيقول بمجرد أن يراني: لم تأتِ بعد، أوصيه أول ما تأتي أنا موجودة بالمحل.

أخيراً جاءت مع الغروب.. وبالفعل مرت على المحل.. نســألها أين كنت.. لا نأخذ منها جوابا ولا نفســر منها جملة.. قلنا من يأسنا:

- الحمد لله أنك بخير.. هيا إلى البيت.. لتنامي وتستريحي.

سألها عبد الحميد:

- أكلتِ..

هنا فقط عرفنا ردها.. وفسرنا كلامها، فكلمة لا كانت واضحة تماما.. قال:

- ماذا تأكلين.

أسرعت أنا:

- سأشتري لها طعاما في الطريق يجب أن تذهب إلى بيتها الآن لتستريح.. قال:

- لا والله.. نحن أيضا لم نأكل من قلقنا عليها، وأنت أيضا طوال اليوم معنا، لابد أن نأكل جميعا.. ماذا تأكلين يا دكتورة:

- كشري.

يا سلام في الأكل فقط إجابتها واضحة ومحددة.. اضطررنا للبقاء رغم حاجتي الشديدة للحمام.. ولكن الكشري تأخر وهو من حين لآخر يستعجله بالتليفون.. نهضت وقررت أن نمشي حالا.. هيا يا أشجان.. فقامت، قال الرجل الكشري في الطريق.. قلت هاتيه يا حنان وتعالي وراءنا.. سنمشي على مهل لنشتري ما تحتاجه.. وقبل أن نتحرك جاء الكشري.. أخذنا ثلاث علب وحنان معنا وتركناه وحده مع علبته وتعليقه:

- بعتموني.

وصلنا البيت وأسرعت إلى الحمام ومن ورائي أشجان، وكانت حنان قد فتحت العلب وأتت بملاعق من المطبخ غسلتها وبدأنا نأكل.

قلت لحنان:

- أريد أن أعطيك مبلغا من أجلها واكتبي ما تصرفونه عليها.. فاجأتني:

- كيف وغدا موعد صرف راتبها.

- لا تتركيها ياحنان يجب أن تكوني معها.

- لا.. أنا ذهبت معها الشهر الماضي وأحرجتني أمام الناس.

- لا يصح أن ندعها تذهب وحدها وقد لا تصل بالنقود إلى البيت.

- أنت تأتين مبكرة وتذهبين معها.

- كيف ومشواري طويل، ولو قلت لها انتظريني قد لا تنتظر.. ثم إن ابنتي جاءت عندي بطفلتها ولولا أنها تعرف أشجان وتحبها ماتركتني آتي اليوم.

- ليس هناك حل آخر.

- حاضر يا حنان سآتي.. أرجو أن ألحق بها قبل أن تخرج.

استدرت لها:

- ما رأيك يا أشجان أتحبين أن آتي معك غدا إلى البنك وأنت تصرفين راتبك.

- تعالي.

- هكذا مجاملة.. أتحبين هذا أم لا.

- تعالي.. سيكون أفضل.

٢٠- اسبريسو ومايونيز

كم هي سعادتي أن خرجت إلي الشارع في هذا الوقت المبكر، تلامسني تلك النسمة الندية تبرد أوصالي، وأتشنف بصوت العصافير تغني سعيدة بتمايل الشجر فيؤرجحها، صحوت اليوم مبكرة على غير عادتي، نشيطة على غير عادتي، متفائلة على غير عادتي، وزادت سعادتي بجو الشارع المبكر قبل كلاكسات السيارات، وسُباب الأولاد وتطاحنهم المستمر وهم في طريقهم إلى مدارسهم، ولا يهمني مصدر سعادتي سواء أكانت بتغيير عادة سيئة لي، أم من فعل المهمة التي أنا ذاهبة إليها.. فحينما تنتشي الروح تجعل الجسد كالريشة الطائرة.

وهي أيضا تصحو مبكرة وها هي تستقبل النسمة الباردة من شباكها المطل على الشارع.

- صباح الخير يا ملكة.

- أوو تعالي.

سبقتني بفتح الباب.. احتضنتني على غير العادة.. فعلا هذا اليوم غير عادي.

- لن أدخل هيا بنا.

- إلى أين؟

- إلى البنك لنتسلم راتبك.

هي تعرف الطريق جيدا، تمشي حتى تصل إليه.. ولما تشككتُ لطول وقوفها وتلفتها اتصلتُ بحنان فوصفت ذات الطريق وأكدت على أنها تعرف، تابعنا سيرنا حتى وصلنا إلى بنك مصر.. من عند الباب انطلق الترحيب بها:

- أهلا يا دكتورة.. أهلا يا دكتورة.

- تعرفونها.

- عز المعرفة.. تأتي هنا كثيرا.

جلسنا أمام أول موظفة رحبت بها.. سألتها:

- الأمن يقول إنها تأتي هنا كثيرا.. لماذا كثيرا؟!!.. أليست مرة في الشهر.

- لا.. كلما احتاجت للمال تأتي فنقنعها أنها أخذت راتبها فتحزن وتقول ليس معي نقودٌ.. الشهر الماضي جاءت معها سيدة منتقبة قلنا لها اشهدي أنها تسلمت معاشها كاملاً.

- ما رأيك لو أدخلناها دار مسنين.

- ياليت؛ في هذه الحالة نحول معاشها على الدار وتكون في رعايتهم.

كانت أشجان أثناء حديثي مع الموظفة تتنقل بين مكاتب الموظفين كالفراشة خفة وسكينة وعيني تتابعها.. ولما قلت أين هي قالت الموظفة:

- هناك تتقاضى راتبها هي تعرف طريقها وتتخطى دورها.. لا تقلقي عليها.

ذهبت إليها ووقفت حتى أتم الموظف صرف مستحقاتها لاحظت أنها كلها من فئة المائتي جنيه، تحيرت كيف لها أن تتعامل مع هذه الفئة وكله عندها ورقة مالية؟

كنت أود أن أطلب من المحاسب أن يجعلها من ذات المائة أو حتى الخمسين جنيها، لكنني تراجعت عن الكلام خوفا من التشكك.

وضــعت نقودها في حقيبتها.. شــكرت الموظف وأخذتها، وأنا أسأل نفسي ترى ماذا يقولون عني الآن.

مشينا في الشارع متأبطتين.. أول ما تكلمت قالت:

- أريد أن أدخل الحمام.

- ها نحن ذاهبتان للبيت تدخلين الحمام ونخبئ الفلوس بشــكل جيد هذه المرة، حتى لا تضــيع كالشــهر الماضــي، ونأتي بمن تنظف لك البيت، ومن تحممك، ومن تطبخ لك طعامك، و.. لكنها كانت تفكر في أشياء أخرى.. قالت:

- هيا نذهب لنادي الجزيرة.

- لماذا نادي الجزيرة؟!

- أغديك هناك.. معنا نقود كثيرة.

- ليس الآن، ابنتي تنتظرني، نذهب أولا للبيت ونخفي النقود في مكان أمين كما اتفقنا.

وقفت أمام محل وأشارت:

- ندخل هنا.

- ما هذا؟!

- لا أعرف.

- أعجبك شكل المحل، إنه غامض.

قرأت العنوان اسبريسو.. سألت أحد المارة:

- ماذا في هذا المكان.. قال:

- كافتيريا شاي قهوة نسكافيه.

قالت:- نشرب نسكافيه.

قدرت أنها تريد أن تعوضني عما فعلته معها الشهر الماضي، وأيضا تبر نفسها وتسعد بما معها من مال.. دخلنا المحل وعلى الفور بحثت لها عن الحمام، فسعدت جدا بالحمام النظيف والرائحة المنعشة، قلت لها:

- معنا نقود كثيرة كما تقولين، سنحضر شغالة تنظف لك الشقة هي بحاجة لتنظيف كثير قد لا يكفيها يوم أو يومان، وتصنع لك بعض الطعام، لذلك يجب أن تحافظي على نقودك، أتحبين أن أحممك اليوم أو آتي لك بالكوافيرة.. صرخت:

- لا.. الكوافيرة لا.

- حسناً أحممك أنا.

شربنا النسكافيه المصنوع بطريقة خاصة.. كان فاخرا، فقد سألت الجرسون في البداية عن القهوة الاسبريسو، ولما عرفت أنها بن غامق ونسبة الكافيين به أعلى وأنه خطر على المرأة الحامل والمرضع وأنه يسبب تشوهات خلقية للجنين ويتسبب في موت الأجنة وإسقاطهم.. ورغم أن كلينا ليست حاملا ولا مرضعة رفضت هذا المشروب ومزحت مع العامل بقولي:

- لماذا لم تضعوا بجوار اسم المحل جمجمة وعلامة إكس.

أشرت للعامل ليأتي بالحساب وقلت لها:

- أتدفعين أم أدفع أنا؟

أسرعت بفتح حقيبتها بسعادة وأخرجت ورقة ذات المائتين.. أخذتها منها ودفعت المطلوب وأخذت الباقي واستبقيته في يدي، حتى لا نفتح حقيبتها كثيرا، وحتى نشتري منه طعاما نضعه في بيتها.

خرجنا من المحل كانت تمشـــي في الشـــارع كالطائرة من الفرحة، حالة من السعادة تعيشها، وعند محل أكل وقفت.. نظرت إليهـا وكـأنني أنظر لطفلـة تريـد من أمهـا أن تحقق لهـا أمنيـة.. طمأنتها ببسمة ودخلنا المحل، طلبت سندوتشات بانيه بالمايونيز.. جاء الرجل برغيفين فينو منتفشين وكبيرين ومشبعين ولله الحمد.. دفعت له من الباقي الذي معي وتابعنا سـيرنا أعيد وأكرر أنه لابد من تخبئة النقود في مكان خفي.. فإذا بها تقول:

- تحت السرير.

- نعم تحت الســـرير.. المكان الذي تخفين فيه دائما.. أليس كذلك.

قالت كمن تحدث نفسها يعني سيخرج المخبوء.. ثم قالت لي:

- تعرفين المكان.. بادرتها:

- نعم أنا أعرف المكان.. هو تحت السرير.. أليس كذلك.

قالت:

- نعم.

وصلنا إلى شقتها وسألتها:

- أين المخبأ حتى نضع فيه النقود.

- لا أعرف.

- ألم تقولي تحت السرير.

- ابحثي.

وبحثت حتى داخت رأسـي، ولم أجد أي مخبأ تحت السـرير، سألتها:

- ألم تقولي تحت السرير.. قالت:

- كنت أمزح.

تمزحين يا أشجان أم تلعبين بنا:

- إذاً هيا نبحث عن مكان آمن.

فتحت ضـلفة الدولاب فوجدت كيس نقود كبير خاص بالمناسـبات (بورتفيه).. قلت لها ما رأيك نضـعها هنا، لابد من مكان تعرفينه لأي ظرف يحدث لك.. قالت:

- نعم.

وضـعنا النقود في ذلك الكيس وأعطيتها في شـنطتها ورقة ذات المائتي جنيه بالإضافة إلى الفكة الباقية في يدي.

وتركتها على خير حال ومشيت.



٢١- ما بين شك ويقين

مصيبة كبيرة، هل سنرى ما رأيناه من عذاب طوال الشهر الماضـــي، فهذا التليفون الذي جاء من حنان تخبرني بضـــياع راتبها أو اختفائه أزعجني، ولما قلت أنها في «بورتفيه» في دولابها قالت:

- لا يوجد أي نقود في أي مكان، وقد بحثت كثيرا ولم أصل لشيء.

أخبرت حنان وكلي ألم وحيرة أن غدا صباحا نلتقي عندها، طلبت رضوى لتأتي معنا فاعتذرت لظروف عندها.

أعدنا البحث أنا وحنان ولم نعثر على شـــيء، ونحن بين شك ويقين، تعبنا فلم نجد بدا من التسليم بالأمر الواقع.

بدأنا نفكر بشكل عملي، لابد من إصلاح نفسيتها حتى ولو ضـــاعت نقودها، صـــعب جدا أن نظل على هذا الحال من الموات شهرا آخر.

هيا نتعاون في شراء مأكولات وعصائر، واتفقت مع حنان أن تأتي بسـيدة أو اثنتين لتنظف الشـقة، ولابد أن نعتني بها أكثر من ذلك وأن الراتب التالي سيكون في يدنا ندفع منه إيجار الشقة، فقد قال البواب إن معه إيصـــالا بثلاثة أشـــهر، ولابد أن نأتي لها بالشامبو والشاور ونحممها ونصلح الثلاجة والتليفزيون ليسليها، إنها منقطعة عن الحياة تماما.

كل هذا التخطيط رتبته مع حنان ولابد أن نبدأ في تنفيذه من الآن ولن ننتظر الشهر القادم.

أنهينا مهمة اليوم ووجدت في حقيبتي أربعين جنيها وضـعتها في حقيبتها وأوصيتها أن تنتبه لها، رغم اعتراض حنان بقولها:

- ستضيع منها.

- لكي تشعر أن معها نقودا فتطمئن.

أخبرت حنان أن تتصل بي متى حضرت الشغالة لأكون معها أثناء تنظيف الشقة.

في اليوم التالي أجريت عدة تليفونات لقريبتها فلم ترد.. وجاء تليفون حنان منزعجا:

- أين أنت يا أستاذة؟!

- خير، أهناك جديد.

- هل نظفت شقة الدكتورة.

- أحضرت لها اثنتين.. رفضت وقالت ليس الآن.. صراحة هي لا تطيع أحدا غيرك ودائما تسأل عنك.

- هذا هو الموضوع!!

- لا موضوع آخر.

- خير.. احكي.

حكت حنان ما عصبني عليها وألهب دمائي ولكنني تحليت بضبط النفس، أسرعت بفتح الكمبيوتر وحركت مؤشر البحث لأرى ما كتب عنها في البوابة نيوز، قالت حنان:

بالأمس جاءت صحفية عند المحل تسأل عن سيدة كانت تبيع المناديل بالقرب من المحل، وهي في الأصل كانت الدادة الخاصة ببنت جمال عبد الناصر.. وتكمل حنان:

قابلت الصحفية وقلت لها تبحثين عن سيدة كانت تعيش في سلام وأكيد ماتت من زمن.. تعالي وشاهدي الدكتورة أشجان كيف تعيش.

وأخذتها وزميلها الصحفي إلى بيت أشجان، تكلما معها كثيرا، وصورا الشهادات التي على الحائط.. ثم فوجئنا اليوم في البوابة بعنوان مسيء يقول إن الدكتورة أشجان مشردة في الشوارع.

جاء الخبر أمامي فقرأت:

«رصدت عدسة «البوابة نيوز» خلال تجوالها بميدان الدقي، سيدة حولها الزمن من أشهر الشخصيات الأدبية إلى متشردة بالشوارع، فالدكتورة «أشجان المنياوي» الحاصلة على دكتوراه في الإعلام، عملت بمجال الصحافة والإعلام، وقامت بتأليف العديد من الروايات والقصص، أصبحت تجوب الشوارع ولا تتذكر شيئا من حياتها السابقة غير الذكريات المؤلمة، وذلك لإصابتها بمرض «الزهايمر».

ولم أكتف بما قرأت بل شاهدتها في الفيديو الذي صور بيتها وصورها القديمة وشهاداتها العلمية، وجلس الصحفي في غرفة صالونها يسألها، وهي ترد بما تيسر لها، أما الذي أراح قلبي هو وعي المعلقين على هذا الفيديو:

فمن قال: هذه مشردة منكم لله.

ومن قال: السيدة فتحت لكم بيتها وتركتكم تصورونها وفي الآخر تقولون عليها مشردة لكي تجذبوا القراء.. والله أنتم المشردون في أفكاركم.

ومن قال: معد التقرير أهان السيدة الفاضلة لوصفه لها بالمتشردة.. هذا خطأ كبير بحقها يجب مراجعته.. وكثير من مثل هذا الكلام.

لماذا ياحنان.. من قال لك أبلغي الصــحافة بحالها؟! الصــحافة وظيفتنا ولو أردناها لفعلنا!! لقد غيرت لنا المصـير بما فعلت، وهل هي تتسول هل تنام على الرصيف؟!

وإذا كانا قد تكلما معها في بيتها فكيف يصفانها بالتشرد.

- أنا قلت ألفت نظر المسئولين عنها.

- لابد أن نطلب الصحفية، ونجعلها تصحِّحُ الخبر.



٢٢- البوابة نيوز

عاودني الإحســـاس بوجع العظام.. ونمت نوما متقطعا.. حتى الصباح، قبل أن أرن الجرس قابلني البواب قائلا:

- أتى شخص البارحة ورن الجرس كثيرا ولم تفتح له.

- من هو؟! أحد أقاربها!!

- لا.. قال إنه من الكتَاب وترك معي اسمه ورقم تليفونه.

تناولت منه الورقة ودون أن أنظر فيها اتجهت لجرس الشقة، فتحت لي الشراعة وبادرتني:

- أنا غاضبة منك.. تأخرت عليَّ.

- لا تغضبي كنت متعبة جدا.

ما أن جلسـت حتى جاءت حنان، ثم رضـوى.. صـالحت حنان على رضوى وقلنا إن هدفنا واحد وكل منا

يراه بطريقته.. فلا داعي لأن نتشــاحن.. تســامحت حنان وبدأت تطلب الصحفية:

- هنا زميلتان صديقتان للدكتورة تريدان رؤيتك.

أغلقت الخط وقالت:

- ستأتي حالا.. ثم قالت:

- الدكتورة اقترضـــت مائة جنيه البارحة من الكوافير، كتب ورقة يذكرها بها في حقيبتها؟

وأين المائة جنيه.

- صرفت جزءاً والباقي معها.

- ليتها تنتبه لنفسها بعد الآن.

قلت لأشـــجان ما رأيك وكلنا هنا أن تحممك حنان ونحن نغير لك ملاءة السرير ونعمل لك انتعاشة في البيت.

- لا.. ليس الآن.

- لماذا يا أشجان كل شيء ليس الآن.. هل تخافين من الماء؟

- لا.

أحضر لك البنت الكوافيرة تحممك؟

- لا.. لا.. لا أحبها.

- قولي ماذا فعلت لنشكوها لصاحب المحل.

- قالت كلاما غير مضبوط.. عن جسمي.

مثل هذا الأمر تذكره جيدا، وقد ألمحتْ به من قبل.. تذكرت الآن لما كنا في المحل لم تلتفت لكلامها.

- وافقي نحممك الآن ولا نتكلم أي كلمة.

- غدا.

- دماغك تركي.. لا نريد أن نضغط عليك.

كانت حنان ورضـوى تؤكدان علي كلامي ويحايلانها أن ترضـى، ووعدتها رضوى أن تخرج لتشتري شامبو وشور من أغلى نوع يحسن البشرة ويكسبها نضارة وانتعاشاً، وقالت حنان:

- تعالي معي نخرج لك ملابس نظيفة من الدولاب.

كل هذا لم يجعلها ترضـخ وتوافق على الاسـتحمام، وقطع الحوار جرس الباب وكانت الصـحفية وحدها، بنوتة في بداية حياتها الصـحفية.. سـمراء رفيعة ومحجبة، ولا تحمل غير حقيبتها.. ما أن دخلت اقتربت منها وحضنتها وقالت:

- يعلم الله كم أحبها.. إنها رقيقة جدا ومهذبة.

قلت كاظمة غيظي:

- و هذا جزاء المهذبة!! لنا عتاب عليك.. كيف تكتبين أنها مشردة في الشوارع.

- والله ما أنا، الدسك، تعلمين أنه يتخير عناوينَ تشد القارئ.

- أول أساسيات العمل الصحفي الصدق.. أنت دخلت بيتها وصورت فيه وتكلمت وزميلك معها فكيف تزوِّران الحقيقة.

- لم نقصد والله.

- على كل حال لقد أخذتم جزاءكم من القراء.. تعرفين بالطبع ماذا كان رد فعل الناس.. وكيف كان تعليق القراء.

هزت رأسها بالايجاب.. أكملتُ:

- رأي القراء هذا يسحب من رصيدكم.

قالت رضوى:

- ماذا كتبوا لم أشاهد الخبر.

قلت لها:

- طالعيه بنفسك في البوابة نيوز، أما الذي لفت انتباهي أنه لما سألها الصحفي ماذا تتمنين قالت: ربنا يأخذني.

ولم تطلب من أي أحد أي شيء.

ولما سألها:

- هل علاقتك بربنا جيدة.. قالت: لا.. سألها لماذا؟ فلم تجب.

صمتت الفتاة.. ثم قالت:

والله أعتذر لكنَّ ولها..

ثم أكملت:

- تعرفن أن موقعنا مشاهد جدا.. وقد اتصلت بنا المذيعة الشهيرة «رولا خرسا»، وطلبت أن نحدد معها موعدا للقاء تليفزيوني.

- نعاتبك على نشـــر كلام، فإذا بك تجريننا لما هو أكبر، أنت هكذا تشهرين بها.

- أعرف أنكن تبحثن عن أهلها، هذا البرنامج سيأتي بهم.

- وربما يبعدهم أكثر، إنه برنامج يفضحهم لا يأتي بهم!!

على كل حال أهلها هم أصحاب الحق في قبول هذا الموضوع أو رفضه.

تذكرت الورقة التي أعطاها لي البواب.. أخرجتها ونظرت فيها.. رفعت رأسي موجهة كلامي للصحفية:

- فعلا موقعكم مشــاهد جدا، فهذا من اتحاد الكتاب.. أكيد جاء بخصوص هذا الموضوع.. سأتصل به:

- أهلا يا. أنا الآن عند الدكتورة أشجان، أتريد منها شيئا.

- حاضر.. اطمئن.

أغلقت الخط:

- كما توقعت.. الاتحاد يعرض خدماته.. أي شـــيء تحتاجه الدكتورة.. أبلغهم به.

ثم توجهت إليها قائلة:

- أنت تبحثين عن ســبق، وهو من حقك، ولكن هذا لا يكون على حساب سمعة الناس.. وكما قلت لك أهلها هم أصحاب الحق في الموافقة على أن تظهر في التليفزيون بحالتها هذه أم لا.

أظهرت الموافقة على مضــض.. جلســت قليلا مجاملة ثم استأذنت في الانصراف..

عدنا لأشجان نحايلها أن ننظفها فلم نفلح.

قلت لحنان:

- كما ترىْن.. حتى أنا لا تسمع لي.

قالت حنان:

- إذاً هيا بنا نذهب إلى المحل نجلس في الهواء هذا البيت كتمة.

نهضنا جميعا ولم تنس أشجان أن تأخذ حقيبة يدها.. وأن تغلق الباب جيدا وتهزه عدة هزات.



٢٣- شموا الورد

جلسـنا عند محل الورد نسـتنشـق الهواء العليل المحمل برائحة الورد البلدي والفل واللافندر، فارتخت أعصـابنا المشدودة نوعا ما:

قالت رضوى:

- لها الحق أشجان أن تأتي إلى هنا لتشم رائحة الورد.

مالت عليَّ حنان قائلة:

- ماذا تقصد؟!

وجهت كلامي لعبد الحميد:

لابد أن نصـلح لها التليفزيون، يسـليها وتعرف أخبار الدنيا.

قال بحماس لم أتوقعه:

- ماذا في الدنيا حلو يستحق المتابعة.. والله إنها أفضل واحدة فينا.. تحيا في ملكوتها.. لا حاملة هم، ولا سامعة غم.

- وما هو آخر غم سمعته.

- من عجائب الزمن؛ الحكم على طفل عمره أربع سـنوات بالمؤبد.

أنا ضحكت ورضوى أدارت وجهها كأنها هي التي أصدرت الحكم الجائر.. فقلت له:

- وما هي تفاصيل الخبر.

- محكمة عسكرية أصدرت حكما بالسجن المؤبد على أكثر من مائة متهم بينهم طفل في الرابعة من عمره.

- عسكرية.!! أهو هارب من الجيش؟!!

لم يضحك أحد فشعرت بثقل النكتة فسألت:

- وما هي التهمة ياترى؟!

- التجمهر وقتل أربعة متظاهرين في محافظة الفيوم.. مارس ٢٠١٤.

- يعني الطفل كان عمره سنتين وقتها.

- نعم.

قلت باصطناع الدهشة:

- وظل اسمه بالخطأ طوال السنتين!!

- نعم.. هناك من يخمن أنه ربما يكون المقصود أباه أو عمه، ولكن بعد التحقيق معهما لم يثبت ضدهما أي شيء وأفرج عنهما.

- أتلاحظ أن في الأمر شيئا غامضا، فليس اسم الطفل فقط لنقول تشابه أسماء، ولكن عنوانه أيضا.

- نعم.. والمحامون إنه لم يسمح لهم بحضور جلسة الحكم أو الحصول على نسخة منه حتى الآن.

هززت رأسي أسفا:

- عدم الشفافية هي ماتحدث اللبس والبلبلة.

أكمل عبد الحميد الخبر:

- وقال المحامي في اتصال مع قناة ال بي بي سي إن أسرة الطفل قدمت شهادة ميلاده لرجال الشرطة، الذين حضروا للتحري عنه، وقاموا بتصويره.

- واضح أنك متابع الخبر وتحفظه عن ظهر قلب.

- ماذا أفعل، إنه أمر يذهل العاقل.

لم تطق رضوى صبرا.. فقالت:

- ربما حدث خطأ وسيحل.. ما المشكلة؟!

قلت لها:

- هذا الخطأ المادي الفادح في ذكر اســـم أحد المتهمين، لا ترين فيه مشكلة؟!

هذا دليل على فساد التحريات، وأن القاضــي لم يطالع أوراق القضية التي عرضت عليه.

- ربما هناك.

قاطعتها:

- ما حكايتك يا رضـــوى كانت مشـــكلتك مع الإخوان وقد شاركت في إسقاطهم، مالك تدافعين عن أي خطأ.

- لا أدافع عن الخطأ.. أحاول أن ألتمس العذر.

فانبريت لها:

- ولما قلت لك إن وزير العدل الذي هو من الســـادة ونحن العبيد يقول إن المصـــري يمكنـه أن يعيش بجنيهين في اليوم.. التمست العذر وقلت: يعطي مثالا.

- ولما قلت لك إنه يريد محاكمة والديِّ الشـــخص المخطئ.. التمست العذر وقلت: عنده حق لأنهما لم يربياه جيدا.

رد عبد الحميد:

- ليتها تأتي على تأديب الوالدين وكفى، بل قال أيضـــا أنا لا تبرد ناري حتى أعدم أمام كل جندي عشـــرة آلاف من الإخوان، ولما قال له المحاور إن عددهم لا يكفي قال هم ومن يؤيدهم ومن يحبهم ومن ومن.

قالت رضوى:

- المستشار أحمد الزند حماسي بعض الشيء لكن قلبه طيب.

- ليس مســـتشـــارا يارضـــوى إنه وزير العدل.. ألا تعرفين معنى كونه وزير العدل!!

كانت حنان تسمع ولا تعلق، ولم نتعرف على تعبيرات وجهها المختفي وراء النقاب.
وكانت أشجان تتابع باهتمام حتى ظننت أنها ستنطق وتشارك في الحوار، لكنها قالت:
- ثم ماذا؟
- أي ماذا؟!
- أقصد من الغاضب.
- لا أحد غاضب هو نقاش بين الأحبة.
- إذاً اسكتوا.. شموا الورد.
ونظرت لعبد الحميد وقالت:
- أين وردتي؟
قام الرجل مسرعا وهو يقول:
- آسف والله أخذنا الكلام.
ناولها الوردة وقال:
- تفضلي يا وردة.
ضحكت أنا ورضوى وأدارت حنان وجهها.. فقلت لها:
- لقد وعدتنا بنسكافيه تصنعينه بنفسك في المحل.
قامت صامتة ودخلت المحل.
قالت أشجان:
- أغضبت!!
لم نجد جوابا، لكنه تمادى في مداعبتها:
- ولا يهمك.. أنت فعلا وردة.

قلت له:
- لابد أن تراعي مشاعر زوجتك.. صح يا أشجان.
قالت:
- آه «ما يصحش كده».
ضحكت وقلت:
- سامعة يا رضوى.. مايصحش كده.

٢٤- معيشة ضنكا

أنهينا السـهرة الجميلة مع روائح الورد ودخن الكلام، وما فيه من أخذ وجذب وغمز ولمز.. نهضنا أنا ورضوى استعدادا للعودة لبيوتنا، أشرت لرضوى ففهمت إشارتي، فقالت:

- هيا يا أشجان نوصلك البيت قبل أن نمشي.

- لا.. اتركيني هنا أنا أذهب وحدي.

وقال عبد الحميد:

- دعيها سنوصلها أنا وحنان لما نقفل المحل.

فانحنيتُ وأخذتها من تحت إبطها قائلة:

- هيا بنا نريدك معنا.

قامت وهي متأففة ومشت معنا غاضبة، تبرطم وترطن بكلام غير مفهوم، وإذا بها تقول:

- لماذا ياربي لم تأخذني، كل شيء عندي بالغصب.

قلت لها:

- تريدين أن يأخذك الله.. هل أنت مستعدة للقائه.

- ماذا يريد مني!!

- يريد منك الصلاة والعبادة.. وأنت لا تصلين.

- أنا في معيشة ضنكٍ.

هتفتُ:

- سـبحان الله، لقد أنطقك ربنا بالحق، لتعلمي أن الله لا يخلف وعده.

- وعده يعذبني!!

- وعد الله لمن أعرض عن ذكره.

قالت رضوى:

- ثقيل عليها هذا الكلام، هيا هذا بيتها.. ادخلي يا أشـــجان ونحن.. قاطعتها:

- ونحن سندخل معك لنكمل الكلام.

أخذنا أماكننا في غرفة الصالون.. قالت رضوى:

- هي لن تفهم معنى ما تقولين.

- صحيح أنها لن تستوعبه، ولكن يجب أن نقوله لها.

- وما الفائدة!!

- معذرة إلى الله.. ألم يســـألنا ربنا عنها، وعن الوقت الذي أمضيناه معها؛ تركنا بيوتنا ومصالحنا من أجلها، فماذا قدمنا لها، لقد أمضينا الوقت نبحث عن نقودها الضائعة.. ألا تعلمين الحكمة من ضياع راتبها كل شهر.

- الحكمة!!

- نعم لتعيش في فقر وإهانة شبه متسولة كما نرى.

- هي مسكينة.. حياتها كلها عذاب.

- ما لك طيبة في مواطن لا تســـتدعي الطيبة.. هذا العذاب مصداقا لقوله تعالى:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَـةً ضَـنكًا وَنَحْشُـرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى).

ألم تُعرض أشجان عن شرع الله، وأمضت عمرها ساخطة متأففة رغم النَعم الكثيرة التي منحها الله لها.

- أنا قرأت في تفسير هذه الآية وعرفت أن معيشة ضنكا تكون في الآخرة.

- في الدنيا والآخرة.. الضنك هو الفقر والضيق.. وها هي أمامك تعيش في فقر وضيق رغم ما معها من مال وعقار، متشردة كما كتبوا عنها.. ألا ترين أناسا ليس معهم أي مال ويعيشون في سعادة!!

- نعم.. كثيرون.

- هؤلاء في معية الله.. والذي في معية الله لابد أن يرضيه.. ويحييه حياة طيبة.

قارني بين الحياة الطيبة والمعيشة الضنكِ.. وانتبهي للربط بالسبب؛ لماذا المعيشة الضنكُ لأنه أعرض عن ذكر الله.

قالت رضوى:

- أنا حزينة عليها جدا.

- ألم تعلمي أنك مدانة أمام الله بخصوصها.

- أنا!.. كيف!.. ولماذا؟!!

- أنت تعرفينها من قبلي، وكنت تلتقين بها دائما أكثر مني، عاشرتها وعاشرتِ أمها كثيرا، ذهبت معها لبيوت أقاربها ولم تدعينها للتأدب مع الخَالق، ولم توجهيها للحمد والشكر وإقامة الصلاة.

- لا والله حاولت كثيرا.. وكما قلتِ كانت ساخطة دائما.

- إذاً لا ينبغي أن نعجب من مآلها هذا، فقد أذهبتْ طيباتها في حياتها الدنيا.

اتسعت حدقتها وقالت في دهشة واستغراب:

- هدى!! هل أنت....

- لا تقولي كلمة لا تدركين معناها.. لابد أن نضـــع يدنا على حقيقة المشـــكلة إذا أردنا حلها.. والحقيقة المؤكدة هي بعدها عن الله.

- وكيف نحل هذه المشكلة الآن بعدما غاب وعيها!!

- ولماذا يحضر وعيها عندما يكلمها الرجل في أمر الزواج.. وتقول حقه الشرعي.

ضحكت رضوى وقالت:

- الجملة كانت مفاجأة.. تصوري هي لا تعتبره زواجا لغرض بل تظن بأن الرجل معجب بها ويحبها وأنها هي التي سـتعوضـه تقصير زوجته، لذا اختارها من دون البنات.

تصمت رضوى قليلا ثم تكمل وعيناها تبسمان:

- ليس بعيدا أن تفكر في الإنجاب.

كنت أتحاور مع رضـوى وهي تنقل عينيها بيننا.. التفتُّ إليها وسألتها:

- هل فهمت ما قلناه.

- لا.

- معنى كلامنا أنه يجب عليك أن تصلي.
- لا أعرف كيف أصلي؛ نسيت ما يقال.
- إذاً استغفري ربك.
- كيف؟
- قولي أستغفر الله العظيم.
أسرعت:
- أستغفر الله العظيم.
- أعيدي:
- أستغفر الله العظيم.

ظللت أشير لها بإصبعي كما يفعل المايسترو، وهي تكرر أستغفر الله العظيم، وكنا نستغفر معها أنا ورضوى.. حتى شعرت أنها انشرحت للكلمة، وصارت ترددها بطلاقة بعدما كان يتعثر نطقها في البداية.. ولما أتقنتها قلت لها:

- ننتقل لكلمة أخرى.. قولي: الحمد لله.

قالت: الحمد لله.. أشرت لها قالت الحمد لله، وبعدما بدأت تنطلق بها قلنا معها الحمد لله الحمد لله أستغفر الله والحمد لله.

فرحت بما حفظت وقالت:

- هل هناك كلام غيره.
- نعم كثير.. عليك أن ترددي هاتين الجملتين حتى الغد.
- أمسكت بي وعليها أمارات السعادة:
- وعد ستأتين غدا.

- إن شاء الله.. قولي إن شاء الله.

قالت إن شاء الله.

- هيا اعتذري لربنا.

- آسفة ياربنا.

- خطأ.. الاعتذار أن تقولي أستغفر الله.

- أستغفر الله.. أستغفر الله.

- ظلي تعتذرين وتستغفرين حتى نلتقي غدا.. سلام.

- أستغفر الله.

ضحكنا ثلاثتنا.. وأغلقنا الباب وراءنا وسمعنا سكة المفتاح وهمهمة بمعنى أستغفر الله، والحمد لله.



٢٥- من يأكل الكعكة

خرجنا من عند أشجان ساقتنا قدمينا للمشي في الهواء الطلق كنوع من التنفيس عن النفس دون سابق اتفاق بيننا، ساد صمت قليل بيني وبين رضوى فسألتها:

- لماذا أنت صامتة؟! قالت:

- أفكر في صبرك على أشجان وجهدك معها.

- الواجب لا يستدعي التفكير.

- يا له من صبر أحسدك عليه، ألم أقل إنني أعيد اكتشافك.

- لماذا تحسدينني قولي أغبطك.

- كيف ظننتِ أنها ستستجيب:

- ما ظننت أنها تستجيب.. ولكن حاولت فقط، وكما قلت لك معذرة إلى الله، وهي استجابت لصدق النية.

- وما حكاية معذرة إلى الله.

- تعرفين قصة أصحاب السبت.

- نعم؛ اليهود لما قال لهم ربهم لا تصيدوا في يوم السبت فكانوا ينصبون الشباك يوم الجمعة ويأخذون منها السمك يوم الأحد.

- تمام، عندها انقسم أهل القرية إلى ثلاث فرق:

فرقة ارتكبت المحذور، يعني فعلوا كما تقولين واحتالوا على اصطياد السمك.

وفرقة نهتهم عن ذلك، وأنكرت فعلتهم.

وفرقة سكتت فلم تفعل الخطأ ولم تنه فاعليه.

- تمام هكذا الناس في كل زمان ومكان.

- ولكن الفرقة السلبية قالت للفرقة المنكرة: لماذا تعظون قوما كتب ربنا عليهم العذاب!! قالوا: معذرة لربنا.. أي أننا عملنا ما علينا لعلهم يتقون.. ولعل أشـــجان تتقي وترجع إلى الله، أرجو ذلك.

رن جرس التليفون.. قلت وأنا أبحث عنه في الحقيبة:

- أكيد البيت يستعجلني.. نظرت في شاشة التليفون:

- إنها صديقتك خيرية، أول مرة تطلبني.. ألو.. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- ولماذا أنت سعيدة هكذا؟!!

- لا يا سيدتي ليس لي في أي انقلاب.. يكفي الانقلاب الكبير.

- أنتم معترضون على الشخص أم على القانون.

- الموضـوع ببسـاطة عرفته من زميل مخلص هو صـراع على السـلطة، الكل يبحث عن جزء من الكعكة لنفسـه، وبالطبع تضـاربت المصـالح، وكل واحد يعالجها حسب طبيعته وأسلوبه؛ مـا بين نرجسـي متكبر، ومـا بين داهيـة لئيم، ومـا بين ذئـب متربص، وفريق آخر صـاحب ثأر فهو موتور يبحث عن ثأره، وأستطيع أن أعينهم لك بالاسم، أما أنت فمن الفقراء إبداعيا الذين يبحثون لأنفسـهم عن مكانة، فيمسـكون بذيل هؤلاء أو هؤلاء، وتطلبينني لتضـفي على موقفك مصـداقية ليس إلا، هذا إذا كان طلبك لي من عند نفسك ولستِ مدفوعة من أحدهم.

- أخطأتِ الهدف، ابحثي عن غيري.. سلام.

كانت رضـــوى منتبهة للمكالمة وتحاول أن تأخذ مني التليفون لكني لم أفعل وأغلقت الخط.. قالت:

- خير ماذا حدث؟!

- كنت تعرفين هذا الموضوع أليس كذلك؟!

- أي موضوع؟

- النــاس في اتحــاد الكتــاب منقلبون على دكتور علاء عبـد الهادي.. وحوالي ســـتة عشــــر عضـــوا من مجلس الإدارة قدموا استقالتهم.

كانت تفعل حركات لا إرادية.. فهمت من حركات الجســـد أنها تعلم.. فقلت لها:

- أأي انقلاب أنت راشقة فيه؟!

- أبدا.. هل أنا في مجلس الإدارة!!.. الزملاء دعوني للاعتصام في الاتحاد.. فلبيت فقط.

- أظن أنه يوم ما قلت لي أنك مشـــغولة وعندك موعد مهم ولم تأتِ معي لأشجان.

- ربما، لا أذكر.

- وماذا فعل لهم دكتور علاء الذي لم يكمل سنة رئيسا.. ألأنه لم يأت لهم بجهاز كفتة ولم يحفر لهم على الناشف!!

- طبعا غلطان لم يعمل لهم البحر طحينة والترعة قناة.

- لم ترد ونادت على تاكسي، أخبرته بعنواني وبعد أن ركبنا.. قالت له:

- نوصل الأستاذة ثم تذهب بي إلى المنيل.

قلت لها:

- طريقك أنت أولا وأنا أكمل معه.

- لا.. أوصلك أنت أولا.. أنت مرهقة.

قال السائق:

- ها على ماذا اتفقتم!

- كما قلت لك من البداية.

ثم قالت:

- أريد أن أبقى معك أطول وقت ممكن.

قلت لها:

- في العادة أنا أركب التاكسي وأنام.

- نامي.

وأخذتْ رأسي إلى كتفها.. فاستسلمتُ.



٢٦- مناشدة ونداء

كلما هدأ بالي من ناحية أشـــجان جاءني ما يفزعني.. هذه المرة تليفون من حنان:

- افتحي التليفزيون.. كانت «رولا خرسا» تتكلم عن السيدة الإعلاميـة «أشـــجـان المنيـاوي» التي تهيم على وجههـا في الشـــارع، وتنـاشـــد وزارة الثقافة والإعلام القيام بدورهما نحو كبـار الســـن من الأدبـاء والاعلاميين، الـذين أعطوا عمرهم وثقافتهم لإثراء المكتبة العربية و.. و.

- صـــحيح أنها تكلمت بلباقة ولم تســـتعمل كلمة مشـــردة واستبدلتها بكلمة تهيم على وجهها، لكنها في النهاية تبحث عن سبق.

اتصلتُ بحنان:

- ممنوع منعـا بـاتـا يـاحنـان أن يصـــل التليفزيون للدكتورة،

أنت المســئولة أمامي.. وبســرعة أكملي الاتصـــال بالأرقام التي معك علنا نصل لأهلها.. قالت:

- وزارة الثقافة اتصـــلت بنا وســـوف يرســـلون مندوبا غدا لأخذها لطبيب مخ وأعصاب لكي يحدد حالتها.

- لا نســـتطيع الرفض ســـيتهموننا باتهامات باطلة وتكون لهم الحجة علينا، على كل حال اســـتعدي.. لابد أن نكون أنا وأنت في صحبتها.. وسأتصل برضوى لتعلم بالأمر.

من الصباح الباكر كنت أدق جرس شقة أشجان التي فتحت الشراعة وقالت:

- المفاتيح ضائعة.

- ابحثي عنها.

- بحثت ولم أجدها.

أدركت أنها لا تريد إدخالي، لا أعرف لماذا هذه المرة.. فاستعملت الحيلة.

- علي كل حال أنا بالخارج، وأنت المحبوسة.. ظلي هكذا وأنا سأجلس هنا طوال اليوم.. قالت:

- ماذا أفعل.

- ابحثي عن المفاتيح وهاتيها، أنت ذاهبة اليوم لطبيب مخ وأعصاب.

جلست على دكة البواب.. بعد قليل وجدت سيدة تدخل من باب العمارة وتهم بضرب الجرس.. بادرتها:

- انتظري.. تعالي إلى جواري.. هي تبحث عن المفتاح.

تعرفت علي السيدة.. صحفية بالأخبار صديقة الدكتورة، شاهدت رولا خرسا« بالأمس فجاءت لتطمئن على صديقتها.

فتحت لنا أشجان وفرحت بصديقتها وتذكرتها، فبمجرد أن قالت لها:

- سمية قالت على الفور:

- العيدي.

- نعم.

لم نجلس معها إلا قليلا كانت سـمية تحكي لها عن ابنتها التي تعرفها، وأنا أخبرها أن وزارة الثقافة سـتعرضـها اليوم على طبيب مخ وأعصاب حتى قطعت كلامنا وقالت:

- لابد أن نذهب لشارع المساحة.

سألتها سمية:

- لماذا؟!

- أخذوا المبلغ.

قلت على الفور:

- من؟! وأي مبلغ!!

قامت وجاءت بتلفونها المحمول وآخر قديم جدا من بدايات التليفونات المحمولة، وأيضا أتت بالشاحن.. قلت لها:

- جميل تريدين تشـغيل التليفون.. هذا أفضـل حتى يمكننا الاتصال بك.

كانت سمية تحاول شحنه وتحاول فتحه بلا جدوى.. قلت لها:

- نأخذه لمن يصـلحه دعي هذا القديم والشـاحن ويكفي هذا معنا، وإذا لم يصلحه نشتري تليفونا جديداً.. قالت:

- بل نأخذ كل هذا؟

- لماذا كل هذا يا أشجان؟! واحد يكفي.

فلما وجدتها مصرة وافقتها:

- لا مانع.. استعدي لأن الناس على وصول..

قالت:

- أن نذهب إلى البنك أولا.

- ليس اليوم يا أشجان.

- أخذوا الفلوس.

- لم أفهمك ماذا تقصدين؟.. تحاول سمية الاستفهام منها.. لا فائدة هي على ذات الجملتين.. دق الباب وجاءت حنان.

تعالي يا حنان ربما تفسرين اللغز.. تريد شارع المساحة! تريد البنك!

قالت حنان:

- هي تريد الذهاب للبنك الأهلي لها شهادات وتريد العائد.

- قولي لها ليس الآن لأنها ستذهب للدكتور لنطمئن عليها.

قالت حنان:

- لقد أجلوا الموعد لبعد الظهر.

- إذن يمكننا الذهاب للبنك الذي تريده!!

- نعم.

- وأنت تعرفينه.

- نعم.

- هيا بنا.

نهضنا جميعا وعند الباب التقينا برضوى، واستأذنت سمية لموعد العمل.

ودَّعناها وواعدناها أن نطمئنها وتابعنا سـيرنا في اتجاه البنك تقودنا حنان.

إنه مشـــوار ليس بالهين، لكنه على الأقدام.. كنا كلما تقدمنا نجد أشجان تقف وتنظر حولها وتقول:

- ليس من هنا.. ندفعها دفعا أمامنا:

- لا من هنا.

فعلت ذلك عدة مرات حتى وصـــلنا إلى البنك، وقفت أمامه تقول:

- ليس هذا. تقول حنان:

- بل هو «البنك الأهلي فرع عدي»

وهي ترفض بشـدة أن تتقدم.. لولا أن عسـكري الأمن رحب بها وقال:

- تفضلي يادكتورة.. قلت لها:

- هذا هو العسكري يعرفك.

تقدمنا وعند المدخل قلنا لمن صادفنا:

- نريد أن نقابل أي مسـئول، لأنها أحضـرتنا إلى هنا دون أن نعرف ماذا تريد.. أشاروا لنا إلى سيدة وقالوا:

مدام إيمان مديرة.

ما أن رأتنا السيدة إيمان حتى قالت:

- أهلا يا دكتورة.. تفضلي.

- تعرفينها إذاً.

- نعم.. عميلة قديمة أعرفها من زمن، وأعرف أمها الله يرحمها.. كانت تأتينا معها فرع المنيل.

جلسنا أنا وأشجان متواجهتين أمام مكتب المديرة.. وقلت لها:

- هي الآن عندها بعض النسيان، وقد أتت بنا إلى هنا لنعرف تعاملها مع البنك.. فهل أخبرتنا ما لها وما عليها.

أنتم من؟!

- أنا صديقتها من زمن بعيد، كاتبة مثلها وزميلتها في اتحاد الكتاب، وحاليا أتولى أمرها.. وهذه جارتها، أيضا تراعيها بكل إخلاص ومودة. قالت:

- ألم تعرضاها على طبيب.

- اليوم إن شاء الله.

- تكلمتْ مع أشجان وقالت لها تعرفينني.. قالت أشجان:

- نعم.. أنت...... منى.

- لا منى أختي.

ثم أدارت وجهها وبكت.. مسحت دموعها وفتحت جهاز الكمبيوتر، وقالت:

- لها حساب هنا وحساب في فرع المنيل، لكنها تأخذ العائد كله من هنا.

هي سحبت العائد من شهر، وهو عائد كل ثلاثة أشهر ثلاثة آلاف جنيه، ولها عائد شهري ثلاثمائة جنيه تقريبا.

وأكملت:

لها بداية الشهر القادم مبلغ بسيط والشهر الذي يليه العائد الكبير.. لكن كيف تصرفهما بحالتها هذه!!

ثم قامت وأخذت حنان معها، دخلت بها.. عادت حنان وقالت:

- هيا بنا ناس وزارة الثقافة اتصلوا.. لقد وصلوا.

خرجنا من البنك وقابلنا رضوى التي فضَّلت أن تظل بالخارج حتى لا نتزاحم على الموظفة.. وما أن خرجنا من البنك حتى قالت حنان:

- لقد أبلغت المديرة أن الدكتورة ليست في وعيها وطلبت تجميد أموالها لحين ظهور وصي عليها من المجلس الحسبي.

أخذتني الدهشة:

- يا سلام.. ولماذا تحزن عليها وتبكي إذا كانت تريد تشريدها.. كيف ترى حالتها وتسأل عن ذهابها للطبيب ثم تمنع عنها دخلها الذي تعيش منه، وتتعالج؟!! أنا دهشة من أمرها.

قالت حنان:

- لم أجادل معها لأن ناس وزارة الثقافة وصلوا عند المحل.



٢٧- حساب جديد

تابعنا سيرنا في طريق العودة نتأسف على موقف المديرة، وكيف أنه دائما اللجوء للحل السريع المريح دون حساب للتبعات، في لحظة كالبرق تبعها الرعد لمحت أشجان بنك قطر.. فصاحت:

- هذا هو.

وجرت عليه.. وحنان تجذبها:

- تعالي هنا.. الناس في انتظارنا.

قلت:

- دعيها يبدو أن هذا مقصدها من البداية ونحن لم نفهم.

وصلت إلى الباب قال الواقف أمامه:

- أتيت مرة أخرى!!.. سألته:

- أتعرفها؟!

- كانت هنا البارحة، تريد أن تفتح حسابا.

- تفتح حسابا!!.. وكان معها نقودٌ.

- نعم عشرة آلاف جنيه.

- ماذا؟!!

دخلنا البنك غير مصدقين.. كانت تنظر يمينا ويسارا.. جاء الموظفون نحونا.. سألناهم:

- أتعرفونها؟!

قالت إحداهن:

- كانت هنا البارحة ومعها عشرة آلاف جنيه تريد أن تفتح حسابا جديدا، ولما وجدناها غير واعية، قلنا لها هاتي البطاقة ورقم تليفون.

- تليفون!!.. لذلك عبث كل أجهزت التليفون في حقيبتها!! وأين العشرة آلاف.

- معها!!

- كيف معها!! تقول إنها عندكم.

- لا.. تركناها معها لماذا نأخذها!!

- تردد أنكم أخذتم المبلغ منذ الصباح.

ردت إحدى الموظفات بحماس:

- نستطيع أن نرى بالكاميرا أنها خرجت بنقودها من البنك.

كانت أشجان تقف مذهولة وتقول:

- هاتوا النقود.

- لم نأخذها منك.

- يعني أنتم حرامية؟

- لسنا لصوصا.. لم نأخذ منك شيئا.

قلت لها:

- هيا بنا يا دكتورة.. واضح أننا لن نصل لحل.

قالت:

- أنتم مشامتون فيَّ.

- لا.. نحن شامتون في أنفسنا.. كنا سذجاً لدرجة العبط.

ولحقت جسدي بكرسي حين شعرت أنه سيخذلني. تجادلت رضوى وحنان مع موظفي البنك كثيرا، لأنها رافضة أن تمشي حتى تأخذ أموالها.. ولكن هيهات.. جاءت حنان إلى جواري وقالت:

- في مثل هذه الظروف نصدق من!!

- كما ترين، الموظفون يؤمنون أنفسهم بالكاميرا، لكن لا ندري ماذا حدث بعدما تخطت الكاميرا!!

قالت حنان:

- لقد ارتفع ضغطي.

وفتحت حقيبتها تأخذ حبة الضغط، وتذكرت:

- من شهرين مررنا أنا وهي من هنا، وقفت تتأمل البنك بإعجاب شديد.. وقالت:

- هذا البنك شكله جميل.. أريد أن أفتح فيه حسابا.

- كانت تجمع له المال على حساب صحتها وحياتها.

نظرت لنا رضوى من بعيد وأشارت بكتفيها وفمها ويديها علامة لا فائدة.. أشرت لها أن هاتيها وهيا بنا.

ابتعدتُ عنها وكذلك حنان، فاضطرت رضوى للإمساك بها ومشينا كمن يمشي في جنازة عزيز.. غصة في حلقي وحلق حنان.. عيوننا هي التي تتكلم، وانقلاب كفينا وشفتينا.. وذهني يستعرض أحداث اليوم.. كيف كانت تدعي ضياع المفتاح حتى تأتي للبنك وحدها وكيف جمعت أجهزة التليفونات وأصرت على أخذها كلها، لما قالوا لها هات رقم تليفون.

وصلنا عند المحل، كان في انتظارنا البنوتة الصحفية، ومسئولة من وزارة الثقافة بسيارتها.

٢٨- دور مبتور

أجلســـناها بجوار مندوبة الوزارة، وركبت أنا وحنان والصحفية بالخلف.. تجملنا بالمرح لكي نبدو على طبيعتنا.

أما رضـــوى ففضـــلت أن تذهب لبيتها ثم تعرف النتيجة بالتليفون.

أخذتنا مندوبة الثقافة لطبيب كبير ومشـــهور في مصـــر الجديدة.. طلب الطبيب رؤية المريضـــة ومعها شـخص واحد، رشـحت حنان لأنها الأقرب لها، والتي يمكنها أن تنفذ تعليمات الطبيب، كتب الطبيب تذكرة الدواء بها نوعين فقط من الحبوب.. ثم دخلتْ له مسئولة الوزارة والصحفية، ورفضت أنا قائلة:

- بكما ما يكفي.

قبل أن نغادر العيادة سـألتها إن كانت تريد الحمامفوافقت.. أدخلتها الحمام وقفلت عليها ورجعت لمكاني حتى انتهت.. نزلنا من العيادة نجر أذيالنا، وعند سيارتها قالت مسئولة الثقافة بيتي قريب من هنا، وأنتم ارجعوا بتاكسي.

انتهت مهمة وزارة الثقافة إلى هنا، وسـيكتب عنها أنها قامت بدورها نحو الكتاب وأنها لا تتوانى عن مد يد العون لمن يحتاجها و.. و.. فقد انتهت المهمة أسـفل العيادة وفي يدنا تذكرة الدواء.

كان مبلغ التاكسـي كبيرا جدا لبعد المسـافة واذدحام الطريق وقت الذروة دفعته أنا، ونزلنا عند محل الورد، وأخذت حنان تحكي لزوجها مأسـاتنا الصباحية وورطتنا الظهرية.. وانهيارنا العصرية.

جاءت معنا الفتاة لتتابع غنيمتها، أخرجت كاميراتها لتسجل صوت وصورة حديثنا عن الدكتورة منذ متى نعرفها وما رأينا في حالتها، والحل الأمثل من وجهة نظرنا.. فقلت لها:

- أهلها كثر وهم أولى بها، وتكلمت عن علاقتي بها، وكيف كانت في شبابها، ثم طلبت مني في نهاية الحديث أن أشكر السيد الرئيس.. انتفضت واقفة:

- أشكره على ماذا؟! قتل الناس واعتقالهم!!

هزت رأسها فهما وابتعدت.

أرسل عبد الحميد يسأل عن الدواء فوجدناه غالياً جدا، قلت:

ملأت حنان كوبا، وضعت الحبة في فم أشجان وناولتها الماء.

قلت لحنان وزوجها ليبقى عندكما الدواء في الصباح هي تأتي فتناولها الحبة الصباحية وفي المساء ترسلها لها مع البواب إذا لم تكن حنان موجودة.. وافقا على ذلك بكل ترحيب، ثم سألت حنان:

- ماذا قال الطبيب؟

قالت:

- قال إنها هزيلة جدا وهذا دليل أنها لا تتغذى جيدا، وهو ما دهور صحتها وذاكرتها وبدت أكبر من سنها.. فحالتها كأنها في التسعين وليس في السابعة والسبعين.

- قلت بتهكم وكيف تتغذى وهي تجمع الأموال لتفتح حسابا جديدا.. الناس من خوف الفقر في فقر.

٢٩- قفزت صورتها

شاركنا عبد الحميد في دهشتنا، ولم يدر بما يعلق، ثم قال:

- وماذا تظنين يا أستاذة.. هل أخذوا منها النقود في البنك؟!

- غير معقول أن نكذب البنك، وموظفو البنك لا يضعون أنفسهم في هذا المأزق، إلا أن يكون أحدهم قد لحق بها بعدما خرجت من البنك وتخطت الكاميرا.. وسواء هذا أو ذاك علينا بالتي خدعتنا وأربكتنا ومنعتنا من خدمتها خدمة جيدة أو تغذيتها تغذية جيدة كنا بالكاد نسد رمقها، وهي تعرف تماما ماذا تفعل وتضللنا جميعا.

قال الرجل:

- يئستِ منها يا أستاذة؟!

- لا.. أنا أعامل الله.

- وما هو الحل الآن.

صمت قليلا ثم ملت عليها:

- أشجان أنت معك عشرة آلاف جنيه.

- أين؟!

- أنت التي تعرفين أين.. نريد من هذه العشرة ألفا واحدة.

- لماذا؟!

- ندفع لهذا الرجل مائتي جنيه ثمن دوائك، وندفع إيجار شقتك ثلاثة أشهر متأخرة، ونعطي الكوافير المائة التي اقترضتها منه.

تفتح يديها ليس معي.

وبدأتُ رحلة أخرى من المعاناة معها:

- معك يا أشجان، كان معك عشرة آلاف البارحة.. ذهبت بها إلى البنك ورجعت بها إلى البيت.

- أنا كان معي.. لا أعرف؟!

- ونظل ندور في الحلقة المفرغة نفســـها.. حتى قلت لها آتي معك البيت لنبحث عنها.. قالت تعالى:

- تأبطتها ومشــينا، نمر على المحلات تريد أن أشـــتري لها علب اللبن بالشـيكولاتة والجبن النسـتو والرومي وخبز التوسـت كما أفعل في كل مرة، وأنا أقول لها:

- لما نحضر النقود نرجع نشتري.

وقفتْ أمام عربة الموز، فقد مدحت الموز الذي اشـــتريته لها.. شددتها من أمام العربة قائلة:

- نحضر النقود ونعود له.

كل هذا لم يُغرها.. ما أن وصلنا البيت حتى رفضتْ أن نبحث عن شيء بحجة الدنيا ليل، وغدا نبحث.. وظللت أعيد الكلام:

- عيب كبير أن يدفع لك أحد ثمن الدواء، البواب معه إيصـال الإيجار، عيب أن تقترضي من الكوافير، الذي تدفعين له بقشيشا.

- ليس معي شيء.

تعبت وقد أدركت هي أني تعبت.. فقلت لها:

- أقول لك شـــيئا مهما، البنك الأهلي جمد أموالك.. يعني لن تصرفي منه أي نقود قبل أن تأتي بوصي.

- لم أفهم.

- يعني لو فتحت أي حساب جديد في أي بنك آخر سيأخذون أموالك ولا يصرفون لك شيئا.

- لا فائدة منك؟! سأمشي الآن.. وأنت ابحثي عن نقودك وسددي ديونك وإيجارك.. سلام.

ودعتني عند الباب، وقالت:

- لا تغضبي مني.

تأملتها فقفزت أمام عيني شبيهتها؛ بشعرها القصير ووجهها المستدير وتثقيفها الغزير، التي تراودني صورتها وقصتها كلما التقيت بأشجان.. ابتسمت لها وقبلتها.. ومسحت على ظهرها.. لست غاضبة منك، أنا خائفة عليك، واستدرت أمسح دمعتي:

- ترى هل مصيرك مصيرها ياصديقتي!! ونهايتك نهايتها مستشفى الأمراض العقلية.

عدت لمحل الورد أعلن فشلي الذريع، وعدم قدرتي على الوصول معها لأي شيء.

شعر الرجل بمدى إرهاقي قال:

- اجلسي قليلا لتستريحي.

- لابد أن أذهب للبيت وأنام كثيرا.

وقف الرجل في منتصف الشارع أوقف لي تاكسيا.. ركبته ونمت.

٣٠- سر التشابه

الغريب أنني رغم كل ماعانيته منها ومعها بالأمس، رغم الإحباط الذي سببته لي من فعلتها تارة ومن تجاهلها تارة، رغم انكسار أمواجي على حافة إصرارها وعدم استجابتها، رغم هذا كله ذهبت إليها في اليوم التالي، لم أجدها في البيت.

وقال البواب:

إنها هناك في محل الورد.

ذهبت إليهم فوجدتها جالسة معهم في هدوء ودعة، كان عبد الحميد وزوجته وقريب لهما وهي يتحلقون حول منضدة الطعام..

أول ما رأتني تهلل وجهها وقالت:

- مرسي أنك جئت.

***

لم يداهمني سوء الظن بها، لكنني كنت غير مرتاحة للجلسة بجوارها، وكنت مضطرة للبقاء قليلاً حتى لا يبدو عليَّ كم الغيظ منها..

قدمني عبد الحميد للرجل الذي وجدته يعلم كل شيء، فأخذ ينصحنا بأن نذهب بها للمجلس الحسبي وأن نقدم بلاغاً يفيد عدم قدرتها على التمييز ونخلي مسئوليتنا، وقصة طويلة لم أستوعبها فقلت لعبد الحميد انتبه لهذا الكلام حتى نفعله بإذن الله، ثم سألته:

- هل أتت بجديد.

- لا جديد ولا قديم.

لم تأتِ بجديد ولكن ســاقتها بطنها لتحشــوها بســاندويتش فول، انتهت مَن أكله وبقيت تنتظر، فقال عبد الحميد:

- أعمل لك ســاندويتشــاً آخر، قبل أن تأخذي حبَّة الصــباح، قالت:

- آه، لا أعرف من أكله!!

تبسم وحشا لها نصف رغيف بالباذنجان والطماطم وناوله لها.. وقال لي:

- تفضلي الإفطار معنا.

شكرته ونهضت واقفة:

- أستأذنكم.

قالت زوجته:

- لماذا بهذه السرعة.

قامت أشجان تودعني وتعيد جملتها.

- شكرا أنك جئت.

- أنت حبيبتي.. سلام.

أمس تقول لي لا تغضــبي مني، والآن شــكرا أنك جئت، إذاً هي تعلم جيدا أنها أرهقتني وأغضــبتني، وتوقعت عدم مجيئي لها مرة أخرى.

هل هي واعية مدركة لما تفعل، وعادت تأكل ما يقيم أودها لساعات دون تكلفة.

وتراءت لي صـــورة شـــبيهتها، أديبة وحيدة محبوبة فاكهة زمانها، فما الذي يودي بمثلهما إلى الخلل العقلي رغم تفاعلهما المستمر مع الأحداث والحياة بالكتابة والقراءة والمعايشة.

هناك سر رباني وراء هذا المصير المؤسف، هل هو البعد عن الله، هل هو التفزلك في الحياة والتفلســـف زيادة عن اللزوم، هل الإحساس بالذات والأنا أم جميعها معا.. كيف يحمي الإنسان نفسه من آفة العقل.

كنتُ متضايقة جدا ولدي شعور باليأس والقلق، فساقتني قدماي إلى النيل، ماؤه يتلألأ فضـــي وزبرجد، صـــفحته تمتص الألوان وتحولها لقوس قزح يُعجب العشاق فيبثونه أشواقهم، ويأتمنونه على أسرارهم.

وقفت أنظر إليه بعمق، غاصـــت عيناي داخل مياهه، فارتسمت على صفحته شبيهتها:

أنت هنا يا مي.. احكي لي أديبتنا الجميلة، ذات القلم الســاحر ماذا حدث لك، لماذا هذا المصـــير.. لماذا رغم كل من أحبوك ولازموا صـالونك الأدبي عشـرين سـنة، يكيلون لك فيه المديح والثناء، ويظهرون لك الود الجميل، لماذا بين كل من أحببتهم لم تجدي أنيساً لك وشريكاً في الحياة، فتصنعين لك امتدادا وذرية.. لماذا وقلمك كل يوم ينثر ورودا ويزرع حقولا في النفوس.

هل تسكعت يا مي وراء ســاندوتش فول وباذنجان في آخر عمرك بعد أن كانت تقام الموائد على شــرفك.. وتقدم لك الورود والجواهر، هل نســيت مع هذا الســاندوتش الفقير ما تملكين من أموال وعقارات، وما كتبت من مقالات وأرسلت من رسائل فكان هو الأحب إليك منها جميعا!!

تكلمي أنت يا مي فأشجان لا تتكلم.

٣١- زهايمر بالوراثة

الله عليك يا حنان خبر حلو أخيرا، قولي قولي ماذا تنتظرين.

ما أن أخبرتني حنان أنها عثرت على ابنة عمها التي تقيم في بور سعيد، وكلمتها وكلمة ابنتها الشابة ولم أتمالك نفسي من الفرحة:

- احكي.

- ابنة عمها تأثرت جدا بقصتها وبكت كثيرا من أجلها، ونسيت خلال المكالمة الموضوع الذي نتكلم فيه، ونسيت أيضا لماذا تبكي.

- ماذا تقولين؟!

- زهايمر أيضا.. تناولت ابنتها التليفون وأفهمتني الأمر.. قالت إن أمها كبيرة جدا في السن، أكبر من أشجان

وعندها أيضا زهايمر، وإنها مثل ابنة عمها تخفي الأشياء وتدعي عدم معرفتها أو تنساها الله أعلم.

ثم قالت أنها ووالدتها ووالدها سيأتون للدكتورة غدا، وأكدت أنها ستتصل بخالها وتخبره.

- يا فرج الله، أخيرا وجدنا أهلها.. تابعي يا حنان أرجوكِ.. وأخبريني متى يأتون إليها.. ولابد أن تكوني معهم.

- إن شاء الله.. ثم قالت:

- عبد الحميد يبارك لك.

- على ماذا.. أن وجدنا أهلها؟!

- لا.. على إقالة وزير العدل.

- بركة سـيدنا النبي ياحنان، قال كلاما كثيرا يسـتوجب إقالته ولكنها بركة الرسول.. قالت حنان:

- أوقعه الله بلسانه، فاللسان مغرفة القلب.. واستطردتْ:

- كنت أريد معرفة رأي رضـــوى في هذا الموضـــوع، فقد كانت تدافع عنه.

- لا أظن أنها تجادل في أمر كهذا!! إلا رســول الله يا حنان.. أليس كذلك.

- تعرفي يا أسـتاذة.. الزند هذا كان لا يسـتحق منصـب وزير العدل من البداية، وهو المتهم بنهب أراضي النادي.

- إنهم يحرقون أنفسهم بأنفسهم ياحنان، والله يملي لهم.

أغلقت مع حنان وأنا ســـعيدة جدا بالخبر.. يارب مُنَّ عليها بفضلك وكرمك.

من كثرة سعادتي بالخبر، بل بالخبرين استجبت لطلب ابنتي التي تريد أن أشتري بعض الحاجيات لابنتها ولا تعرف أن تخرج بها، وأنا أقول لها متعبة جدا، عظامي تئن من الوجع، أعطيني حبة مسكن ودعيني أنام.

شعرت بأنني في أحسن حال ويمكنني الخروج من أجلها.

كان مشواري قريباً من التحرير.. نزلت من الميكروباص ووقفت أبحث عن المحل الذي وصــفته لي.. التفتُ والتفت بعض المارة على صوت قوي غاضب:

- امشي من هنا يابنت الكلب.

شـاهدتُ واحدة بائسـة، شـعثة الرأس، رثة الثوب، حافية القدمين، التلوث الذي على وجهها ورقبتها ويديها يدل على أن جسـدها لم يذق الماء من سـنتين، تلبس جلبابا على لا شـيء لكنه سـاتر، فوقه ما يشـبه الروب، مقطوع منه قطعة من جانب والقطعـة المقطوعـة من الجـانـب الآخر تجرهـا على الأرض، القذارة التي على ثوبها وما يبدو من جسـدها ووجهها ويديها ورقبتها صـبغ عليها طبقة سـوداء كالحة، شـعرها الذي صـار كعروق الشجر الجافة في تشعبه وتلبده لا يوصف، تحمل حقيبتين كبيرتين ممتلئتين بأشـيائها، كأن بهما فرشـتها التي تضـعها على أي جانب من رصيف عندما تخلد للنوم.



٣٢- عزة النفس

كان ارتفاع صوت المرأة البائسة بالشتم لأن سيدة اقتربت منها لتعطيها صدقة، فاندفعت تشتمها بالجملة سابقة الذكر.

ارتعدت السيدة وابتعدت عنها وأسرعت بعيدا من دائرتها، ولما وصلت إليَّ سألتها:

- تشتمك أنت؟!

- نعم.

وأكملت المرأة بتعجب:

- أترين شكلها؛ ولكن نفسها عزيزة، لا تريد صدقة.

وقفت المرأة بجانبي وأخذنا نتابعها، كانت جالسة القرفصاء أمامها الحقيبتان، ثم هبت واقفة فإذا تحتها بقعة ماء.. عرفنا أنها كانت تقضي حاجتها.

قامت ولم تمش، جذبت انتباهنا وهي تحاول إخفاء البلل بالحقيبتين، تمسحه بأقدامها تارة، وتارة بظهر الحقيبة الأولى ثم بالحقيبة الأخرى، وظلت متسمرة مكانها لا تريد أن تغادر حتى تجف المياه، وكأنها قطة تدفن حاجتها بالتراب.

مشت المرأة بتعجبها وظللت مكاني لأعرف ثم ماذا، جفت المياه بالفعل من الدق عليها بشدة ومسحها بكل ما تقدر عليه، ثم بدأت تتحرك ولكن ليس بعيدا عن المكان، كانت تروح وتجيء في حيز محدد، تتكلم موجهة كلامها لأخرى في ذاكرتها، فكانت أحيانا ترفع صوتها فيزعج المارة وأحيانا تخفضه وكأنها في موقف التفاهم والحوار، اقترب منها رجل يناولها ما في يده.. صرخت فيه:

- امشِ من هنا.

سألت صاحب محل كان يقعد على بابه:

- أهذه تأتي هنا كل يوم؟!

- نعم.

- لا تأخذ صدقة من أحد.

- نعم.

- وكيف تعيش.

مط شفتيه.. شكرته ومشيت أحدث نفسي:

في الدنيا من هو أسـوأ منك يا أشـجان.. ترى من أنت أيتها البائسة وكيف كنتِ من قبل.. هل عزة النفس هذه والحرص على ألا يرى أحد عيبها وليد لحظة أم نتيجة مشـوار طويل من الممارسة!!

لك الله وحفظك يا أشجان من مثل هذا المصير الصعب.

تشـجعت برؤية هذه السـيدة أن أطمئن على أشـجان، طلبت البواب وأنا بالشارع لأسأل عنها وأنني أريد أن أكلمها.. قال:

- أنا على سطح العمارة نركب طبق دش لإحدى الشقق، ولم أرها اليوم.. ولا أعرف أموجودة أم لا.

اتصلت بحنان، قالت:

- لم أذهب إلى المحل اليوم.

واستطردتْ:

- اتصلت ابنة قريبتها وقالت إنها مريضة، وطلبت من أمها أن تؤجل الزيارة، أمها رفضت وقررت ألا تنتظر، وأن تأتي لأشجان وحدها، وبعد أن ارتدت ملابسها نسيت لماذا ارتدتها وإلى أين ستذهب.. فقالت لها ابنتها إذاً عليك بالانتظار.

تبسمت في غير سرور وقلت لنفسي يوم من يوم قريب يا صديقتي.. المهم أن حنَّ الدم وحصل التعاطف..

والأهم أنني أمرح الآن حرة من مسئوليتك يا أشجان أقضي مهامي المؤجلة.

تابعت سيري، أرتب أفكاري، غدا عندي موعد في هيئة الكتاب أسأل عن كتابي المتأخر.. وبعد غد سأذهب مع الأولاد إلى البلد نمضي يوما جميلا بين الخضرة.. أما الآن فها أنا أمشي الهوينى لأستمتع بالنظر إلى الفاترينات، وخلق الله.

وجدت أمامي سائلاً يطلب مساعدة، تذكرت المرأة التي كانت ترفض المساعدة.. الرجل كان يلحف في الطلب.. أخرجت جنيها وناولته له.. قال بتهكم:

- جنيه!! صبح على مصر بجنيه.

نظرت إليه ولم أتكلم، فأكمل:

اغتظت منه:

- وأنت جمعت الملايين من هذه الجنيهات.

- من يوم أن صبحتوا على مصر ما عاد أحد يصبح علينا.. دعيها على الله يا «ست».

وعبر الشارع.. تابعته شاردة دون أن أحدد مشاعري نحوه، ثم التفتُ أتابع طريقي.

٣٣- شرطة الإنقاذ

الخطة لم يكتب لها السير كما رسمتها.. في صباح اليوم التالي ذهبت إلى الهيئة العامة للكتاب.. سألت عن كتابي وحركت الراكد خطوة واحدة.. وقبل انجاز مهمتي جاء تليفون من حنان.

فرحت بالتليفون وتخيلت أنه سيخبرني بوصول أهل أشجان من بور سعيد.. وهي معهم الآن.

ما أن سمعت صوتها حتى وجدتها تصرخ:

- الحقينا.

- ماذا فهناك؟!!

- الدكتورة.. فتحت شراعة الباب وسقطت على الأرض أمامي.

- ماتت!!

- لا.. لكنها لا تقوى على الحركة.

- سآتي حالا.

في التاكسي عاودت الاتصال بها:

- ما الأخبار يا حنان؟

- أنا كنت سأكسر الباب، لكني طلبت أقرباءها، ابنة خالها، قال ابنها لا تكسري الباب واطلبي البوليس.

قلت لها:

- مادمت طلبتِهم وقالوا هذا، فما عليك إلا التنفيذ، اطلبي البوليس..

وها أنا في أقترب.

- اتصلت برضوى وشرحت لها الموقف.. قالت:

- طمئنيني عليها أنا في المستشفى مع أختي.. وقعت على رجلها و.....

- إن شاء الله.

أنهيت المكالمة قبل أن تسترسل في الحكي.. سمع السائق الحكاية فأسرع بي حتى باب العمارة.

ما أن دخلت من الباب حتى وجدت حنان تتشاجر في التليفون:

- أنت خائف على ما في الشقة، ولا يهمك المسكينة المرمية على الأرض.

- نظرت من الشراعة لأجدها تزحف، تتحامل على يديها وركبتيها في غاية الإعياء تابعتها حتى وصلت إلى السرير، تشبثت به حتى تمددت على حافته، ناديت عليها افتعلت صوتا يدلني على أنها تسمعني ولا تقوى على الرد، طمأنتها:

- حالا سنفتح الباب وندخل لك.. لا تخافي.

إلتفت لحنان، لا تزال تتشاجر:

- أنت تضيعين الوقت!!

- ماذا أفعل هذا قريبها يقول اطلبوا البوليس.

شاورت لها بيدي أن اهدئي، التفتُ إلى البواب:

- من فضلك اطلب النجدة ١٢٢.. واشرح الموقف.

طلب النجدة وشـــرح الموقف، أخذوا العنوان وإذا بنا في لمح البصــر نجد فرقة من شـــرطة الانقاذ الخاصــــة بالمنطقة قد جاءت.

قالوا النجدة اتصلت بنا وأعطونا العنوان.

كنـا نفكر من أين يـدخلون، اقترحـت أن يـدخلوا من نـافـذة الشارع وقال رجل لم أتبينه من لحظة وصولي:

- اكسروا الباب.

لمحته فإذا بي أرى وجهها بالتمام، وتلون عينيها نظرت لحنان مستفسرة، قالت:

- ابن ابن عمها،

لم أفهم.. جاء صاحب العمارة وقال ادخلوا من الجراج تجدوا مدخلا لباب ومنه لمطبخ الشقة.. كسر باب المطبخ أسهل.

في الحال وأنا واقفة أنظر من الشراعة وجدت الشقة امتلأت بالرجال، أخذت ذات المسار ودخلت معهم.

وقف المســعف يقيس لها الضــغط وأعطاها برشـــامة وقال أكلوها.. شــربوها عصــير.. أي شـــيء يبدو أنها لم تأكل من مدة، سألته:

- ننقلها إلى المستشفى؟!.. قال:

- لا تحتاج.. قلت:

- لابد من المستشفى يضعون لها المحاليل.. قالوا:

- تحت أمرك.

وأحضروا كرسيا متحركا حملوها عليه، أصر المسعف:

- هي لا تحتاج مستشفى، فقط تأكل وتشرب ستكون بخير.

تباينت الآراء فأعادوا وضعها على السرير، سألتهم:

- كم الأتعاب؟ قالوا: لا شيء وانصرفوا جميعا.

حنان التي سمعت بكلمة تشرب أسرعت وجاءت بالعصير، أسندتها على صدرها وبدأت تسقيها.

مشى رجال الشرطة وخلا المكان إلا منا قلت للبواب:

- هات نجاراً يصلح باب المطبخ.. ففعل.

أصلح النجار الباب وحاسبه البواب دون أن يزعجنا.

- دخل ابن ابن عمها الذي يشبهها تماما، في حوالي الخمسين من العمر، أمسك بيديها وجلس القرفصاء أمام سريرها وقال:

- سلامتك يا دكتورة، أنا إيهاب فهمي المنياوي أتذكرينني!!

هيا قومي لتأتي معنا.. كلنا نحبك ونريدك بيننا.

كان يكلمها بود وطيبة.. تركته لها أو تركتها بين يديه وانتحيت بحنان:

- هل هذا أتى من بور سعيد الآن؟!

- لا.. أنا طلبت ابنة بنت عمها التي كلمتها من قبل مع أمها، وهي اتصلت بخالها وهو بدوره اتصل بابن أخيه المقيم هنا فجاء على الفور.

- إنه يشبهها تماما ياحنان.

- نعم.. كثيرا.

- إذاً الجمال النادر هذا يأتي من الأب أكثر من الأم!!

- لكنه كما ترين.. طوال الوقت يتكلم في التليفون مع عمه يصف له التطورات.. ثم أكملتْ:

- وبالطبع لما اتصلت بأهل بور سعيد لم يكن عندي أمل أن يأتي منهم أحد لبعد المسافة فاتصلت بهؤلاء الناس ابنة خالها رغم أنهم أساءوا لنا عند زيارتهم السابقة.. لكنهم الأقرب في المكان.. أردت أن أخبرهم بالموقف حتى يأتوا إليها فإذا بابنها واسمه إلهامي يقول بعجرفة:

لا تكسري الباب واطلبي البوليس.. ولما قلت له إنها في حالة سيئة.. أصر على طلب البوليس، ثم فوجئت بابن العم هذا.

والحق يقال من لحظة أن جاء وهو يقول اكسروا الباب على مسئوليتي، ولكن إلهامي رجع واتصل بي يؤكد علي عدم كسر الباب وقال نحن في الطريق، وقد سمعتِ مشاجرتي معه.. ثم أنهم لم يأتوا حتى الآن.

ما أن أنهت كلامها حتى وجدناهم أمامنا ثلاثتهم.

ابنة خالها سيدة كبيرة ولكنها أصغر من أشجان قليلا، أول مرة أراها رغم أني كلمتها كثيرا بالتليفون، ومعها ابناها رجلان في آخر الأربعينيات من العمر إلهامي الكبير وهو الذي جاء معها في زيارة الملوخية.

والثاني مصطفى.. تكلم فأعجبتني لكنته وأخبرته بذلك، فاذا هي من أثر جلطة بالمخ ربنا نجاه منها وأبقى على تلك اللكنة المميزة التي تدل على أنه تعلم العربية قريبا.

دخلوا على أشـــجـان بلهفـة ومرح وحكـايـات وذكريـات، والمســـح على رأســـها والاعتذار عن التقصـــير.. ولاحظت أنا وحنـان أن ابن العم ذاب من المكـان، ولم نعرف أين ولمـاذا ومـا الحكمة من اختفائه!!



٣٤- ارتخت قبضتها

كانت أشـــجان ممددة على الســـرير في غاية الإعياء، يقيم أودها شـــربة ماء تدفع فيها كل ما تملك، بيتها الذي حرصـــت على إغلاق كل ما فيه متاح الآن، دخله عدد من البشــــر دون وعي منها ولا إرادة.

كل ما يحتويه من ممتلكات لن تأخذ منه شـــيئا إذا أمر رب العالمين بصـعود الروح، هي أمامي بجسـدها الذي لم يذق الماء من ثلاثة أشـهر نصـف ميت، فقط لأن الروح بداخله وإن كانت مريضة.

أين الجمع الغفير الذي كان هنا من نصــف ســاعة فقط.. كل ذهب إلى حال ســبيله وتركوها مع دعواتهم.. وأين ابن ابن عمها الذي يشبهها تماما لماذا جاء ولماذا غادر؟!!

يبدو أنني قلت الجملة الأخيرة بصوت مسموع، إذا بالسيدة تقول:

- مشى بمجرد أن رآنا.. هو عارف نفسه.

- لماذا مشى لما رآكم!! ألستم أهلاً؟!

- بيننا مشكلات كثيرة.

- أعتقد أن المشكلات كانت بينهم وبين أشجان على الميراث، مالكم أنتم والميراث.

- ليس موضــوع الميراث، كانت أشــجان قد أحضــرته عندنا يوما يخطب ابنتي الكبيرة.. عرفنا كم ما هم فيه من شح.. طردناه من بيتنا شر طردة.. من يومها لا يجتمع معنا في مكان.

تأملت أشجان المحرومة من الزواج، كم كانت حريصـة على تزويج الأصـدقاء والمعارف فهل كانت تفعله كنوع من التعويض وإشباع للذات.

كان مصطفى أيضا يتأملها جيدا، ولم أعرف ما بداخله من انفعالات، هز رأســه وفتح باب الشــقة وخرج ثم عاد بعصــائر ووحدات من الكرواسوه.. تعرفت أنا وأمه على بعضنا البعض.

- أنت سيدة الملوخية.

- نعم .

- ولكنك لم تأت ثانية.

- ظروف والله لو تعرفينها.

- ليس الآن.. دعينا نرى هذه المسكينة أولا.

بدأنا نطعمها قليلا قليلا، ونداعبها، ونســقيها اللبن وتمددت على السرير.. تركناها ترتاح، وقلت لحنان:

- هات دواءها وتذكرة الطبيب.

وقلت لقريبتها:

- ماذا أنتم فاعلون الآن بعد الذي رأيتموه؟!

- سنأخذها معنا.. لن نتركها وحدها بعد الآن.

- تمام هذا ما نريده منكم.

قلت لها ولابنيها:

- إذن اعرفوا مديوناتها لأنكم المسئولون عنها من الآن، اهتم إلهامي بالكلام وأخرج من جيبه نوتة صغيرة وقلما وقال:

- تفضلي قولي.

- ثلاثة أشهر إيجار الشقة.. مائتان وخمسة وعشرون جنيها.

دوَّن المبلغ..

مـائـة جنيـه قرض من الكوافير، كتـب بهـا ورقـة تجدهـا في حقيبتها.. كتب ما أمليت عليه..

مائتا جنيه ثمن دواء، دفعها عبد الحميد.

- من عبد الحميد؟!

- صاحب محل الورد.

- أليست المرأة المنتقبة التي كانت هنا هي زوجته!!

- نعم هي.

- هؤلاء من سرقوها.

- لا تقل هذا أبدا، لولا هؤلاء الناس معها لماتت من زمن، هما يطعمانها يوميا.

- أين الإطعام.. ها هي قد سقطت من طولها.

- قال البواب إنها لم تخرج من البارحة، وربما لم تقو على الخروج، وهي إذا خرجت أكلت.

- وأين يضيع مالها وهم الذين؟!!

قاطعته:

- لا تكمل، لقد عرفنـا أين يضـــيع مـالهـا.. أكمل لـك بـاقي المديونيات ثم أخبركم أين يضيع.

- تفضلي.

- هناك مبلغ للبواب اشـــترى لها بعض الحاجيات ولم يأخذ ثمنها حوالي خمسة وستين جنيها وربما زادوا الآن لا أعلم.. هو يقول لكم عليها.

دون إلهامي المبلغ وسألني:

- وأنت كم لك.

- لا شيء ليس لي عندها أي شيء.

- كيف لقد كنت تشترين لها طعاما من مالك الخاص وعرفت أنك أعطيتها نقودا.

- لا يمكن أن أحاسب على طعام أكلناه معا، ثم أن خيرها سابق.. عليك بالآخرين.

وضع النوتة في جيبه.. جاءت حنان ومعها الدواء وتذكرة الطبيب، أخذتهما وناولتهما لإلهامي.

- هذا هو الدواء برشامة في الصباح وبرشامة في المساء.. من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

هز رأسه واتجه ناحية حنان وقال:

- شكرا لكم، أكثر الله من أمثالكم، إن شاء الله ستصلكم نقودكم قريبا.

قالت حنان:

- الحمد لله لقد اطمأننا عليها.. أنا ذاهبة للبيت، ابني طلبني.. ومعكم الأستاذة.

مشت حنان.. ووقف يشيعها بعينيه ويقول:

- أنا لا أرتاح لهؤلاء الناس.

انبريت للدفاع عنها:

- أين كنت حتى ترتاح أو لا ترتاح؟!

أخذني مصطفى جانبا وقال:

- واضح أنهما طامعان فيها.

- ليس لنا أن ندخل في نيات الناس.. هذا حل رآه الرجل لغيابكم الطويل عنها.

- إذا كان هذا حلا كان الأولى به أنا، من دمها على الأقل، لا رجل لا نعرف من أين جاء.

- وماله افعل أهي أمامك.. واستطردتُ:

- لا تظن أنني أدافع عنه، وأنا من أخبرتكم في الوقت المناسب.. ولكن أدافع عن رجل وزوجته رأيت منهما الحرص عليها ومتابعتها، والتضحية ببعض مالهما من أجلها، لأنها بالنسبة لهما عشرة قديمة، وأيضا قيمة كبيرة.. ثم أن الرجل فكر بما اعتقد أنه في صالحها، وكان في إمكانه كما قال لي أن يستغل الوضع ولا يخبر به أحدا.

هز رأسه وقال:

- معك حق.. يبدو أنك إنسانة فوق العادة.

قالت الأم:

- احكي لنا أين تذهب نقودها.



٣٥- ممنوع التليفزيون

كانوا في غاية الشغف ليعرفوا مصير أموالها التي ضاعت، تراصوا أمامي كطلبة في محاضرة عن الحياة.. بادرت بقولي:

- نعم اجلسوا حتى تعرفوا كم عذبتنا حتى ظهرت الحقيقة قدَرا.

نادت أشجان فأسرعنا إليها.. قالت:

- أريد الحمام.

ارتبك الرجلان، وقامت المرأة تتسند، أشرت إليها أن تبقى، وأخذت أشجان أسندها إلى الحمام وأسألها:

- كيف أنت الآن.

ترد بتأوه ما يدل على أنها تسمعني فقط.. كان لابد أن أنزل لها سروالها.. اكتشفت أنه كلونا شفافا فقط دون شيء

تحته، عند عودتي بها لأنيمها على سريرها اكتشفت وجود الصحفية:

- ألف سلامة عليها.. كيف هي الآن.. مدام حنان اتصلت بي وحكت لي ما حدث.

- الحمد لله هي الآن بخير.

قلت في نفسي: «حنان لا تفوت الفرص» استفسر إلهامي خُفية، من هذه؟!

تكلمت بصوت واضح أعرفهم عليها:

- الآنسة صحفية، كانت التقت بأشجان وكتبت عنها تقريرا في البوابة نيوز.

ثم اتجهت لها:

- وهؤلاء هم أهل الدكتورة جاءوا على الفور مجرد أن علموا بالخبر.

رحبوا بها وهم لا يدرون عن الأمر شـــيئا.. أخذتني جانبا وقالت:

- «رولا خرسا» تريد موعدا للتسجيل معها.

- أنا قلت لك هذا الأمر مرفوض تماما.

- لا.. قلتِ أنه يخص أهلها وهؤلاء هم أهلها.

- تفضلي تكلمي معهم.

اقتربتْ الفتاة من إلهامي.. ابتعدتُ عنهما لأنشـغل بأشـجان، بينما قامت قريبتها تحاول أن تخرج لها بعض الغيارات من دولابها؛ منها ما هو للمنزل ومنها ما هو للخروج، وبمســاعدة مصطفى تم تجهيز الحقيبة ببعض ملابسها مع حذاء وشنطة.

عرفت على البعد أن إلهامي يرفض وهي تجادل وتجادل حتى أنها طلبت له معدي البرنامج ليقنعوه، هو أيضـــا رفض طلبهم، ويبدو أنهم يلحون كثيرا فنادى عليَّ كمن يستغيث قائلا:

- يا أستاذة هل توافقين على هذا البرنامج!!

- لا.. بالمرة، قلت لها أنه مرفوض تماما.

- ها أنتم تسمعون حتى زميلاتها ترفض.

شعرت الفتاة باليأس فدخلت تسلم على أشجان:

- ســلامتك يادكتورة، أي شــيء تريدينه أنا تحت أمرك.. أنا أحبك جدا، وانصرفت.

أعدنا ترتيب المشـــهد المتحفز للحكايات، توحدوا جميعا في شــخص شــهريار، أخذت وضــع شــهرزاد أحكي هذه الليلة كيف كانت تخفي راتبها وأرباحها كل شـــهر، وتحرم نفســـها من مالها وعزة نفســـها، حتى جمعت عشـــرة آلاف جنيه لكي تفتح حســـابا جديدا في بنك جديد لأن البنك أعجبها شكله.

- اندهشوا وقالت الأم:

- وأين هذه النقود.

- إما هنا في البيت، وإما رآها أحد تخرج بها من البنك وتبعها.

- وإذا كانت هنا فأين يمكن أن نجدها.

- هذه هي المشـــكلة الكبرى.. لا نعرف أين تخفيها ولا كيف، كم مرة كنا نبحث حين نكتشف ضياع نقودها فلا نصل لشيء ثم وجدناها تكنزها.

- فقال مصطفى:

- إذا هيا نبحث عنها أمامك، حتى لا يتهمنا أحد أننا أخذنا من شقتها الملايين.

وانطلقنا في شـقة الحريصـة على عدم مس أشـيائها والتي تغلق دواليبها وأدراجها بمفاتيح تنوء بالعصـــبة.. كانت في يدنا تلك العصـــبة.. نفتح الدولاب الحديد فلا نجد، النيش فلا نجد، غرفة المكتب والمكتبة فلا نجد، نقلب صـــفحات الكتب فلا نجد، تحت الكنب أرفف الدولاب فلا نجد.. والغريب أنه كلما وجدنا مكانا نظن أنه المخبأ نجد خيوط العنكبوت تعترضـــنا وكأنها نسجت لتضللنا عن البحث.

ضحكت وأنا أرى مصطفى يهش أثر العنكبوت عن وجهه وشعرة فقلت له:

- اصبر سنجد حمامة ترقد على البيض الآن.

لم نجد أثرا لأي أموال.. ولا حتى شـــهادات الاســـتثمار التي جمعتها لها حنان وأتت هي بواحدة منها.

قلت لهم:

- على كل حال البنك الأهلي مدون عنده شـهادات اسـتثمارها وعائدها، ولكنه جمد كل هذا لحين الإتيان بالوصـــي عليها، ولو وجدها أحد لن يستطيع صرفها.

يئســنـا من البحـث، لكن إلهـامي جمَّع كثيرا من الأوراق الخاصة، ملأ بها حقيبة يد كبيرة وقال:

نقرؤها فيما بعد،

وقد شـجعته على ذلك.. فمن غيرهم يطلع على أسـرارها إذا كان ثمة أســرارٌ هم جزء منها أو على علم بأكثرها، واســتعدوا لأخذ أشجان معهم.

شــكروني جميعا أنني بقيت معهم حتى الآن وأفهمتهم أشــياء كانوا لا يعرفونها.. وحين كنت أتأهب للذهاب دق تليفون إلهامي فرد عليه.. مطلوب للشهادة في قسم الدقي الآن.

قال بتوسل:

- ممكن تنتظرين مع أمي حتى نعود.

- ممكن.



٣٦- ريشا منتفشا

كانت أشجان تغط في نوم عميق.. يتخلله بعض الشخير.. رحبت بي المرأة وشكرتني كثيرا فسألتها.. فقالت:

- يوم كنا عندها اتصلت بنتي تقول إن أختها أغمي عليها.. وإنهم نقلوها للمستشفى.. جرينا على المستشفى وظللنا معها حتى اليوم التالي.. وظلت بعدها مريضة لأسبوعين خلالهما نفاجأ بمصطفى وقد أصابته جلطة.. فكان «ويلنا ويلين»، لكن الحمد لله تحسنت حالته سريعا وإن كانت تركت الأثر الذي ترين.. فقد مررنا بمحنة صعبة، وهذا الذي أخرنا عن زيارة أشجان مرة أخرى.

ثم فتحت لي قلبها أكثر فكلمتني عن بنتيها اللتين فاتهما قطار الزواج حتى وصلت الأولى لسن الأربعين والثانية تقترب منها، وكيف أن هذا يؤرقها جدا، وقد تأخر ولداها

إلهامي ومصطفى في الزواج بسبب البنتين حتى تخطيا الأربعين، فتزوج كل منهما وبقيت البنتان، وهذا كما قالت يتعب أعصابها ويحرمها النوم، خاصة أنها كبرت ولم تفرح بهما.

فعلا الناس أعذار.. عذرتها وتأثرت بظروفها.. قال رسولنا الكريم:

«التمس لأخيك سبعين عذرا»

وظلت تحكي عن بنتيها اللتين يلازمهما سوء الحظ، وابنيها، أحدهما الذي أصابته الجلطة بلا سبب معروف، والكبير الذي يتولى شئونهم وشئون بيته و.. و..

لاحظتْ السيدة وهي تسترسل في الحكي أن عيني تغافلني وتغفل مني ثم تنتبه..

قالت:

- لقد تعبتِ اليوم، ربنا يجزيك خيرا.

- نعم متعبة جدا حتى أنني قد لا أستطيع أن آخذ تاكسيا.

- وماذا ستفعلين.. ليت معنا سيارة لأوصلناك.

أخرجت تليفوني وطلبت ابني.

- تعال خذني.. مرهقة جدا.. إليك العنوان.

جاء سريعا ورن عليَّ.. خرجت له:

- صديقتي التي حكيت لكم عنها الآن مريضة وقريبتها هنا وحدها وابناها في مشوار وعلى وصول فانتظر قليلا حتى يأتيا.

هز رأسه بالموافقة.. رجعت فوجدت قريبتها تتفقدها.. رأتني قالت:

- لا يمكن أن نأخذها هكذا يجب أن نغير ملابسها.

- هكذا بدون استحمام؟!

- نعم.. لابد من تغيير ملابسها.

- كما تحبين.. هاتي لها غيرها.

تعاونا في تغيير ملابسها وكانت بين أيدينا كالدمية في يد طفلة تعدلها وتقلبها دون اعتراض، بدأنا بالنصف الأعلى تلبس قطعا فوق بعضها دون ترتيب، كانت معي قماشة مبللة مسحت جسدها قليلا قبل إلباسها.

وجاء دور النصف الأسفل فكان الأفظع والأبشع حين فككت حذاءها لكي أنزل الكولون الأوحد.. فما أن خرج من قدميها حتى بدرت الأرض قشـــرا كثيرا وكبيرا وكأنك نثرت ريشـــا كثيرا منتقشـا.. لما مسـحتُ قدميها امتلأت قطعة القماش قشـرا فذهبت وغسلتها عدة مرات.. حتى قالت قريبتها:

يكفي هذا.. البنات يحممنها ويعملن اللازم.

- حسن فعلتِ حين قلتِ بتغيير ملابسها.. ثم استدركتُ:

- أتأخذين الغيار الذي خلعته تغسلينه!!:

- لا لا ارمي.

أيضا معك حق لا يصلح إلا للرمي.

جاء ابناها.. اندهشا أنني مازلت هنا.. شكراني، وكان معهما طعاما قدما لي سـندوتشـا.. رفضـت لأنني متعبة جدا، وأن ابني يقف بالخارج.. ودعتهما وخرجت على وعد بالمتابعة بالتليفون.

وقفت مع البواب قليلا، أخبرته أنهم سـيأخذونها معهم.. وسيأتون لك أول الشـهر بحقك وبإيجار الشـقة، وهممت بركوب السيارة بجوار ابني، فوجئت بإلهامي يأتي مسرعا يسألني:

- ماذا أفعل.. قلت له:

- احملها.. هات تاكسياً أولا أوقفه هنا ثم ادخل واحملها.. قال:

- نعم أحملها.

فقفل عائدا فقلت لابني انتظر حتى نطمئن عليهم، خرج إلهامي مرة أخرى مسرعا:

- إنها منهكة جدا وأنا خائف.. قلت له:

- تسمع رأيي يجب أن تدخل مستشفى الآن.

- أي مستشفى؟

- يقولون هنا مستشفى ٦ أكتوبر تأمين صحي وهي معها البطاقة في حقيبتها.. كان عبد الحميد قد عرض كثيرا أن يأخذها إليها.

- نعم المستشفى.

دخل وخرج مرة أخرى.. ولكن كيف نذهب إلى المستشفى!!

- هاتها معنا.

دخل حملها وجاء بها.. وضعناها كما تضع البقجة فوق الكرسي بجوار ابني وركبت أنا والسيدة وإلهامي بالخلف وقال مصطفى سألحق بكم.

مشى ابني بالسيارة حتى وصلنا لمحل الورد وجدت عبد الحميد يهم بإغلاق المحل.. طلبت من ابني الوقوف.. وناديته:

- سنذهب بها إلى مستشفى ٦ أكتوبر.

قال:

- انتظروا دقيقة سآتي معكم.

سبقنا عبد الحميد بسيارته حتى باب المستشفى، ركن بالخارج ودخلنا نحن حتى باب العيادات.. وقام إلهامي بحملها ودخل بها وأمه تهرول وراءهما، ثم خرجنا من الباب الثاني لأنه ممنوع أن ندخل بالسيارة لولا أن الرجل الواقف عند الباب شاهد الحالة، ووعدناه أن ننزلها ونخرج على الفور من الباب الآخر.

جاءني الخبر صباحا أن عبد الحميد ظل معهم حتى منتصف الليل، وضـــعوا لها المحاليل وأولوها كل الاهتمام.. ولما عرفوا أنها ستبقى للصباح عرض عليهم الرجل أن يوصلهم للبيت أو لأقرب مكان حتى تستريح الحاجة ويأتي إلهامي مبكرا ليأخذها.. فوافقوا.

أخرجوها من المستشفى في اليوم التالي وأخذوها إلي بيتهم، وكما عرفت فيما بعد أن البنتين قاما بتحميمها ومعالجة قدميها ودهنهما بالكريمات، ثم اتبعوا معها نظاما غذائيا مغذيا بوجبات صـــغيرة وعلى فترات قريبة، مع الاهتمام بالمكســرات بندق وفستق وعين جمل لتأثيرها المباشر على المخ.

قد يكون مصيرك مختلفا يا أشجان عن شبيهتك.. لعله.



٣٧- لعنة الميراث

كانت رضوى متشوقة لتعرف ماذا حدث بالأمس.. اتصلت بي مبكرة فحكيت لها كل القصـــة، ومن جاء ومن أخذها ولما قلت إن لها ابن ابن عم يشـــبهها تماما، مقيم هنا بالقاهرة جاء ولكنه اختفى فجأة دون معرفة السـبب سـألتني ما اسـمه.. فقلت لها:

- إيهاب.

قالت على الفور:

- هو.

- من هو؟!

- هذا يقول لها يا عمتي، لأنها ابنة عم أبيه، أخذتني عندهم فهو يقيم مع أمه في جاردن ســيتي، كانت تريد أن أراه وأرى بيتهم لأنه يبحث عن زوجة تريد أن تسكن مع أمه،

وكالعادة رشـحتني له، ولما قلت لها لا داعي للإحراج أنا لا أريد الزواج، قالت:

نذهب كزيارة فقط ثم ليكن ما يكون.

يومها حدث شــيء غريب جدا.. أمه أصــابها الغم عند رؤية أشجان وقالت لها:

«لماذا تأتين إلى هنا، يكفي ما أخذته من ثروة ليســـت من حقك»

قالت لها أشجان:

«لماذا ليست من حقي؟! هي ملك أبي وكتبها لي»

قالت لها:

«أبوك في نار جهنم لأنه تحايل على شرع الله.»

وكلمة من هنا وكلمة من هناك وأنا واقفة غارقة في خجلي، أحاول فعل أي شيء، يكفي يا أشجان هيا بنا، وهي مصرة أن تغيظ السيدة وتتهمها بالطمع في ملك غيرها، وأنها هي التي في نار جهنم.. واستمر الجدال حتى تعبنا جميعا وكدنا نسقط من الإعياء فمشينا من عندهم بالخيبة.

أما إيهاب هذا فظل صامتا فلا هو يسكت أمه ولا يرد على أشجان، حتى هممنا بالانصراف عندها فقط قال لها ببرود:

من فضلك يا عمتي لا تأتي هنا مرة ثانية لأن والدتي تتعصب كلما رأتك.. وأنا لم أتكلم إكراما لصديقتك.

كلامه هذا زاد من عصبيتها، وجاء صوت أمه من الداخل يحذره:

لا تقل لها عمتي.

يومها أقسمت أشجان أن تبدد ثروتها حتى لا تعود لهم بعد مماتها.. ولكنها لم تفعل شيئا لأنها تربت على حرص وعدم التفريط.

قلت على الفور:

- ولهذا السبب كنت تودين تزويجها لعبد الحميد أو أي أحد لكي تبرِّي بقسمها؟!!

صاحت:

- معقول أنت بهذا الذكاء.

- ليس ذكاء هو ربط الأحداث ببعضـــها ليس إلا.. يبدو أنك كرهته وأمه من يومها وقررت معها أن تبددا ثروتها حتى لا يرثها أبناء عمومتها.

- صـــراحة أنا يومها قلت لها والدك عنده حق أن حرمهم من ثروته.

- ماشاء الله عليك.. يومها نطقت كفرا.

- ماذا أفعل بهدلونا جدا.. ورجعت وأنا في غاية الغيظ وقلت لأشجان لا تأخذني أبداً في بيت من بيوت أقاربها.

- وما رأيك الآن!!

- في ماذا؟

- ثروتهم ستعود إليهم وقد باءت أشجان وأبوها بالذنب.. أليس كذلك!!

- لله في خلقه شئون.

- أحسنت يا مولانا.



٣٨- تحرير محضر

جاء ابن عمها من بور سـعيد وعرف من عبد الحميد وحنان أنها في بيت ابنة خالها، وقد عرفهم.. فقد سـبق وتقدم بابن أخيه لخطبة ابنتهم كما أخبرتني السيدة من قبل، كلمهم في التليفون وأخذ منهم موعدا لزيارتها، وقد سمحوا له، ذهب مع ابن أخيه الذي كان حاضـرا يوم الأزمة الكبرى وهرب عند رؤيتهم.

عرفت أنهما طلبا أخذها معهما، فهما أبناء العم والأولى بها.. ولكن ابنة الخال وأولادها رفضوا بشدة:

- كيف تأخذونها ونحن نعرف نيتكم؟!

- لكننا أحق بها!!

- خذوها رسمياً.

***

وتطاولوا على بعضـهم البعض، واتهم بعضـهم البعض بما مضـى، وذكَّر كل فريق منهما الآخر بمشـكلات قديمة وقضـايا قديمة، وعداوات قديمة شـبت بين أهل الأب وأهل الأم!! مالت أشـجان حينها ناحية أهل الأم.. فابتعد أهل الأب، وسـاعد على الابتعاد بعد المسافة.

رفض أبناء العم أن ينهزموا أمام أبناء الخال، فلجؤوا إلى القسم.. دونوا محضـرا يتهمون فيه أهل الأم بخطفها واحتجازها دون إرادتها، ولجؤوا لعبد الحميد وحنان أن يشـهدا معهما بذلك، رفضا وقالا:

- لا ناقة لنا ولا جمل في هذه القضـية الأحق بها تحكم له المحكمة.

وطلبني إلهامي ليستشهد بي على عكس ذلك.

فقلت أشــهد بما رأيته وعرفته، أما اتهام الآخرين، والتدخل في نياتهم فلا شأن لي به.

الآن أرى التطابق بين أشــجان ومي يحكم قبضــته ليكوِّن وجهـا العملـة. لا.. وجهي العملـة مختلفـان، التطـابق هنـا تـام كالأصل والصـورة، ها هي تحاكيها في تدهور صـحتها وشـرود عقلها وتنازع أهلها.

مالك يا مي ترسـلين لعنتك على أشـجان فلا تنفك منك، تُرى ماذا يكون مصـيرك يا أشـجان بعدما انتقلت لبيت أحد أقاربك كما انتقلت مي لا حول لها –لك- ولا قوة إلى بيت أقربـائها الـذين أودعوها المصحة.

هي مثلك بحجمها القليل.. بثقافتها الواســعة ومعرفتها لعدة لغات، بتهافت الرجال عليها –عليك- فقد قرأت حنان في أوراقها خطابات يتلهف أصــحابها على طلب ودها، كعشــاقك يا مي برســائلهم التي لانزال نتداولها، ثم ذاقت مثلك صــقيع الوحدة وبرودة الفراغ.

الوحدة مميتة يا مي يا أشـجان رغم ما تتمتعان به من موهبة الكتابة.. نعم هي مثلها لم تكوِّن أسـرة.. وعاشـت لفنها وموهبتها، فتعارك عليها -عليك- الطامعون.

وكما هو معروف وشــائع؛ الوضــع على ما هو عليه لحين البت في القضية.



٣٩- داعش ودواعش

طال الوقت على انكماش أشجان في حضن قريبتها، وغابت عني أخبارها لعدة شهور.. أخذني الفضول لأتشمم أخبارها من الطرف الاخر، وهو حنان وعبد الحميد.

ركبت إرادتي وذهبت إليهما، رأيته من بعيد في جلسته المعتادة، هذه المرة بيده جريدة يقرؤها بتمعن وانهماك شديدين، حتى أنه لم يشعر بي واقفة وراءه حتى فاجأته:

- ماذا تقرأ؟!

التفت قائلا:

- أهلا يا أستاذة؛ مقال مهم للأستاذ فهمي هويدي.

قلت وأنا أستعد للجلوس حيث أشار:

- فهمي هويدي من الكتاب الجيدين والذين يتناولون الأمور بجدية وحيادية، كما أنه يهتم بالتحليل المنطقي للموضوع.

- نعم هو ذاك.. اعتدت أن أقرأ كل مقالاته وأفهم منها الحقيقة بدلا مِن أن أبيع عقلي للإعلام الكاذب.

- عن ماذا مقالة اليوم؟!

- عن أعوان الأجهزة الأمنية الذين باتوا يستهدفون تحت أعين الجميع.. وعن تزايد أعداد المنضمين إلى تنظيم داعش.

- داعش!!.. هذا اللغز المحير، في قلبي منهم غصة، كيف تجمعوا وكيف ظهروا وامتلكوا في لحظة أو غفلة من الزمان!

- يقول الكاتب أنه تم حصولهم على أسلحة متقدمة، أحدثها صاروخ «الكورنيت» الروسي الموجه حراريا لاستهداف الدبابات والمدرعات.

ويقول إذا صحت هذه المعلومات فمعني ذلك أن ثمة شيئا غير مفهوم في المشهد يحتاج إلى إيضاح وتفسير، كما أن ثمة ثغرات في المواجهة ينبغي أن تعالج، وأخرى في السياسات بحاجة لأن تصوب.

- ولذلك أقول لك في نفسي منهم غصة.. أين حنان.

- على وصول.. وماذا ترين بشأن داعش.

- والله لديَّ إحساس غريب لم يشر إليه أحد على الطلاق.

- نسمعه منك، تفضلي.

- يتملكني إحساس أن بدايتهم الأطفال الذين ولدوا سفاحا في معركة البوسنة والهرسك أخذتهم أمريكا وإسرائيل يربونهم ليكونوا لنا عدوا وحزنا.

- فكرك راح للبعيد.

- ولماذا يروح للقريب، وهم الذين يخططون لمائة سنة قادمة.

- كم عمر هؤلاء الأطفال الآن.

- ثلاثة وعشرون عاما على الأقل.

- احتمال ممكن، لاعتقادك أن أمريكا وراء هذا التنظيم.

- ومن غيرهم.. كيف تدرب هؤلاء الدواعش وأين كانوا في الخفاء ومن أين انطلقوا وامتلكوا المال والقوة، والدنيا أمامهم براح.

- الذي فهمته أنها جماعة متعددة، وتنتمي إلى السلفية الجهادية.

- من الطبيعي أن الجهادية وكل تنظيم متطرف وكل من يكفر الحاكم أن ينضم إليهم، خاصة أنهم ظهروا باسم الدولة الإسلامية، أقول ينضم، لكن الأساس والبداية من أين؟! وكيف.؟! ماهي هويتهم؟! من زرعهم في المنطقة، من أين مصادر تمويلهم وتسليحهم وتدريبهم، والأهم من صاحب المصلحة، وما علاقة هؤلاء بقطاع غزة وليبيا والسودان كل هذا يحتاج إلى تفسير.

- قد تكونين محقة.. نعود للمقال يقول الأستاذ هويدي باختصار:

يوم السبت الماضي أذيع تصريح منسوب إلى مركز الإعلام الأمني بوزارة الداخلية، ذكر أن قذيفة هاون أطلقت على كمين الصفا بدائرة قسم ثالث العريش، الأمر الذي أسفر عن استشهاد ثمانية عشر من رجال الشرطة، وأن الأجهزة الأمنية تقوم بتمشيط موقع الحادث، في الوقت ذاته تناقلت مواقع التواصل الاجتماعي صورا للهجوم وقدمت رواية أخرى لما جرى.

- مواقع التواصل الاجتماعي صارت الإعلام البديل والأكثر ثقة ودقة من الإعلام الرسمي.

- رغم أنه إعلام عشوائي؟!!

- العشوائية هي ما تعطيه الثقة، لأن العشوائية هنا تعني بلا غرض، ثم أنهم يقدمون صورا حية مأخوذة من كل جانب ودونما اتفاق.

- معقول أيضا.. يقول الأستاذ فهمي:

«وأثار انتباهي في البيان الذي أصدره الإرهابيون الذين ينسبون أنفسهم إلى «ولاية سيناء» أن الهجوم بمثابة رد على الاعتداء على كرامة نساء العريش وإهانتهن»

- ولاية سينا؟!! أهي صارت ولاية.!!

- هذا المكتوب.

- وماذا يقصد بكرامة نساء العريش وإهانتهن.؟

- يقول: «حاولت أن أتحقق من الذريعة التي أوردوها.. وكانت خلاصة ما توصلت إليه ممن أعرف من أبناء العريش أن الحكاية لها أصل.

- وما هو أصل الحكاية.؟!

- يقول: «ذلك أن الكمائن الثمانية التي نصبتها الشرطة بين العريش والشيخ زويد بمسافة خمسة وثلاثين كيلو مترا عمد بعض أفرادها إلى مطالبة النساء بتحسس أماكن معينة من أجسامهن للتثبت من عدم وجود أحزمة ناسفة حولها.

- لا إله إلا الله، إنها لكبيرة في حق السيناويين.

- تماما وهذا أثار بينهم غضبا عارما.

- ولماذا لم يوفروا شرطيات لهذه المهمة.

- هذا ما كان يجب أن يكون، ولكنه الغباء؛ وهذا أعطى ذريعة للإرهابيين أن يستثمروا غضب الأهالي.

- الحقيقة أن هناك فجوة عميقة حدثت بين السيناويين ومؤسسات الدولة، لم تكن من قبل.

- تعرفين يا أستاذة أيام مبارك كانت الشرطة تدفع للسيناويين لكي يحمونهم من الإرهابيين ويبلغون عن أماكنهم، الآن الشرطة ترى العنف هو الحل فخسر الطرفان معا.. فضلا عن عمليات التهجير قصرا التي أثارت حنقهم، وهذه الطامة الأخيرة غير اللائقة في معاملة النساء.

- كلها أمور مركبة، تضـــع عقدة فوق عقدة، والضـــحية هو الجندي المســـكين الذي يرمونه في كمين غير مؤمن، وغير معد كما يجب.

- والحل في رأيك، هل ســيظل الإرهاب يحصـــد جنودنا بدم بارد ونحن عاجزون عن صدهم.

- لابد من إعادة الثقة بين المجتمع الســيناوي ومؤســســات الدولة.

جاءت حنان منهكة من المواصــلات.. وضـعت ما تحمل من بضاعة جانبا، وسلمت علي بحرارة لاهثة الأنفاس وقالت:

- الدكتورة مشيت وانتهت العلاقة؟!

- هذا كلام تقولينه لو لم أكن أنا هنا الآن.

- صحيح معك حق.. أنت فعلا صاحبة صاحبك.. أهلا بك.

قال لها عبد الحميد لن أقول لك تأخرتِ يبدو أن المواصــلات أتعبتك.

قالت ومازالت تروح عن وجهها بطرف طرحتها:

- المواصـــلات واللف والمناهدة مع البائعين، حتى بـائعي الجملة أصبحت أسعارهم متفاوتة.. الحمد لله على كل حال.

- الحمد لله على الســـلامة.. كنا نتحاور أنا والأســـتاذة عن الأحوال والأحداث الجارية.. ثم التفت إليَّ قائلا:

- سألتك كيف تعاد الثقة كما تقولين.

- أولا: يجب أن تكون هناك النية الخالصة لذلك.

ثانيا: يجب أن يعطوا للسيناوية مكانتهم ويشعروهم بأهميتهم، أتذكر قول النبي (صلى الله عليه وسلم):

«من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن»

- عليه الصـــلاة والســـلام.. أملنا في مجلس النواب الجديد أن يتوصـل لحلٍ لمعالجة هذه القضـية وغيرها من الأمور التي تؤثر على مستقبلً الوطن.

- على الله؛ وإن كان المجلس غارقا في مشـــكلاته، وإن كنا نشـهد له إسقاط عضـوية النائب البهلوان «توفيق عكاشـة» لسـبب معلن وهو اســـتقباله لســفير إســـرائيل، وســـبب غير معلن وهو تطاوله على السعودية وآل سعود.

- لا تصــــدقين.. هذا وذاك لا يحدث إلا بتوجيهات من الدولة التى تسيطر على الأغلبية البرلمانية.

- لا تنس خروجه عن النص المستمر والغرور الذي أصابه.

- الحقيقــة ليس هنــاك خروجــا عن النص هو واحــد ممن يتكلمون بلسان الدولة وتبدو عند العامة بلسان أنفسهم.

فهناك من يروّجون لإســـرائيل ويشـــيطنون فلســـطين ليلا ونهارا.. وهناك من يصرح أنه لا يمانع فى اللعب فى تل أبيب.

ومثل «يوســـف زيدان» الذى يزِّور تاريخ القدس، وينفى عروبتها، ويشـــيد بإســـرائيل التى انتقمت للجنود المصـــريين من الإرهابيين الفلسطينيين.

ومثل كثير من المذيعين المسيرين والمخبرين الذين يوجهون التحيات لإسرائيل لضربها غزة.

ومثل المحامين المحســوبين على النظام الذين رفعوا دعاوى أمام القضـاء المسـتعجل لتصـنيف المقاومة الفلسـطينية كمنظمات إرهابية.. هؤلاء دواعش أكثر من داعش.

تنهدت حنان وقالت:

- كفى تنغيص عيشـــة، والله زمان يا أســـتاذة.. قولي لي ما أخبار رضوى.

- والله من يوم قصــــة أشـــجان، وذهابها عند أهلها انقطعت أخبارها عني.. رضوى دائما عندها ما يشغلها.

قال عبد الحميد:

- كنـا نريـدهـا في حوار اليوم لنعرف رأيهـا في داعش وفي الجنود الضحايا.

- هذه أمور وطنية لا يختلف حولها عاقل، لأنها كالطوفان الذي يجتاح الكل في طريقه.

- نتمنى لمصرنا الحبية السلامة والنصر على عدوها.

- نتمنى لها قبل كل شـــيء الأمن والأمان، والنصــــر على نفسها.

قالت حنان:

- هل عندك أخبار جديدة عن أشجان!!

- إنما الأخبار عندك أنت، قولي.

- قال البواب أنهم أتوا بها مرتين إلى شـــقتها.. دفعوا الإيجار وسددوا المديونيات.

- يعني أخذتم ثمن الدواء.
- نعم.
- ودفعوا للكوافير.
- ربما.
- الحمد لله.
- أخذنا الكلام ولم نسألك ماذا تشربين.
- أوحشتنا أشجان وعصير الكوكتيل الخاص بها.
- إذاً نطلب لك الكوكتيل.
- أخيرا.. يجب أن يكون عمرك طويل حتى تحقق أمنياتك.



٤٠- عنوسة وأنوثة

اتصلتُ بقريبتها عدة مرات، في كل مرة تصف لي كيف تحسنت صحتها كيف امتلأ جسدها، كيف يعتنون بها ويتسامرون معها، ويخرجونها من حين لآخر للنزهة.. وكيف هي سعيدة بينهم وهم سعداء بها، ولكن ما تلف من شعيرات دموية في المخ لا يمكن أن يعود.. وبعد أن أسمع من ابنة خالها كل هذا الكلام، أطلب أن أكلمها فتناولها التليفون.

في البداية كانت تسأل عن العمارة التي كنا نتقابل فيها، وأنا يغيب عن ذهني ما تقصده، ما هي تلك العمارة، وأين، وأحاول أن أستفسر وأستفسر حتى أدركت أنها تسأل عن بيتها، عمارتها وشقتها التي تسكن بها، بعد ذلك نسيت هذا الأمر وصارت ترد بالإجابات التقليدية:

- كيف حالك يا أشجان.

- كويسة.

- مبسوطة.

- عادي.

- كيف عادي أنت الآن وسط أهلك يجب أن تكوني مبسوطة.

- أوكي.

أضحك.. تضحك.

- أوحشتِني هل آتي لزيارتك.

- أنت وعدتِني ولم تأتي.

- ماذا تريدين أن أحضر لك معي.

- لا أعرف.

- شيكولاتة، أحضر لك شيكولاتة!! أنت تحبينها.

تفرح وتقول:

- نعم شيكولاتة.

قابلت إلهامي مرة بالمصادفة سألته عنها، أعاد علي قصة تحسنها وهي الآن أفضل، ولما سألته هل تصرفون راتبها في موعده قال:

تذهب معها أختي، تسحب ألف جنيه فقط والباقي يظل في حسابها.

اندهشت وقلت:

- لهذه الدرجة هي واعية لنقودها؟!!

أكد على كلامه، مشيت في اتجاهي غير مصدقة لكلامه، لكن الأمر لا يعنيني.

رجعت وعاوت الاتصال بقريبتها، ذات الحال وذات المقال.. وزاد عليه قولها:

- لما وجدناها تسأل عن بيتها لم نحرمها منه نأخذها إلي شقتها من حين لآخر تبقى بها قليلا ثم نعود بها، ولما قالت لي أنت وعدتِني كثيرا ولم تأتي قلت لها سآتي غدا.

أسرعت ابنة خالها وأخذت التليفون تعتذر لبعض المشغوليات وأنها ستتصل بي فور الانتهاء منها.. ولم تتصل.

انتظرت طويلا واتصلت أنا، فاعتذرت بكثرة المصائب والأمراض التي تتناوب عليهم جميعا، فعرضت عليها عريسا لابنتها الكبري.

هو زميل صحفي وفي الخامسة والأربعين، ماتت زوجته وتركت له طفلين.. الطفلان في رعاية جدتهما وسيكون لزوجته شقة خاصة.

اعتقدت أنها ستفرح بالعرض، وأنني أتيت بالعريس اللقطة مركزا وظروفا ولكنني فوجئت بردها:

- ألم تجدي غير هذا الأرمل صاحب العيال.

- تريدين لذات الأربعين رجلا لم يسبق له الزواج.

- نعم.

- وأين نجده؟!!

تعجبتُ من منطقها وحجتها أن ابنيها لم يتزوجا إلا بعد الأربعين بكثير، ولم أسألها كم عمر زوجتيهما، وبكم سنة يصغرانهما، ولم أعد عليها ما قالته من قبل أن الولدين انتظرا أختيهما كثيرا، ولما وجدا أنه لا فائدة أسرعا بنفسيهما، وتركا لهما البيت الذي صار بيتا مؤنثا ببنتين وأمهما، وها هي أشجان تزيده تأنيثا.

وبالتأكيد أن منطق الأم هو منطق البنتين، والأكثر تأكيدا هو العِرق التركي الذي أبقى أشجان بلا زواج تعاليا وغرورا وحرصا أيضا، وها هما البنتان يزحفان نحو ذات المصير، مستأنستين بلقب عانس فيبدو أنه لقب أثير لديهن ولا يزعجهن على الإطلاق.. أغلقت الخط معها فما يهمني هو أن صديقتي معهن في أمان تسعد بونسهم.



٤١- تيران وصنافير

شـعرت بالحزن الشـديد وبحالة اكتئاب مميتة، شـعرت بوجع كبير لا أقوى على حمله، وغصة تخنق حلقي.. كيف لا أحزن وأطرافي يبترها مغتصب القصر؛ استحكمَ غصبا وفرط راضيا في مستقبل أحفادي، كيف لرئيس دولة مهما كان خائنا ومنقلبا، مهما احتاج للأموال لكي يثبِّت عرشه، مهما احتاج لتدعيم شرعيته أن يفرط في أطراف بلده بسهولة، لتميد بنا الأرض حين يختل توازنها.

كيف يقدِّم بيديه دليل عدم ملكيته لهذه لجزر في حين من يدعي أنَّهم أصحابها لا يملكون هذا الدليل.. ولم يطالبوا بها وما حدث نزاع عليها منذ ست وستين سنة على أقل تقدير.

بل ويقف ليعطي شعبه درسا في الأخلاق وكأن الشعب الذي يحدثه لايزال في مرحلة ما قبل الابتدائية، فيقول باستخفاف:

«أمي قالت لي لا تنظر لما في يد الغير ولو كان والدك».

هكذا بكل وضوح ينفذ أجندة إسرائيل، فيحرمنا خير أرضنا، فيسلم لهذا أخضرها وذاك يابسها، ولثالث ماءها، ولرابع بترولها، فبعد أن أخلى لهم أرض سيناء في الشمال يتنازل عن جزر الجنوب، تيران وصنافير المخضبتين بالدماء المصرية تروح في خبر كان.

أكيد هناك معترض يقول إنه يسلمهما للسعودية لا لإسرائيل، فليدلني هؤلاء منذ متى وطئت قدم سعودي على أرض أي جزيرة منهما، إنهما مصريتان منذ فجر التاريخ، وقبل أن تكتمل دولة السعودية نفسها في سنة ١٩٣٢م، وليست العبرة لمن تسلم العبرة من المستفيد.

ضـــربني الإعلام المأجور في مقتل وهو يتبنى قرارا صـــيغ بليل وفوجئنا به مصبحين.

وأدمـاني بعض زملاء العمر الـذين يؤيـدون الانقلاب ويرون في مـدبره المنقذ والبطـل الأوحـد، فيـدافعون عن قراره تكبرا وخيفة على مشـاعر أنفسـهم من أن تصـدم فيه، حتى تجرأ أحدهم وقال:

«إنه لا يخطئ»

ولما ردت عليه زميلة بقولها:

«لماذا لا يخطئ أهو نبي؟!» قال على الفور ودون تفكير:

- «نعم».

كنا نجلس على ســـطح نقابة الصـــحفيين، وكان الهواء من المفترض أنـه منعش ولكن حرارة جســـمي والهواء الســـاخن الخارج من فمي يمنعني من الإحساس بالانتعاش.

فضلا عن أصوات المحتجين على هذا القرار والذين يقفون الأن على سلم النقابة يهتفون:

.. الأرض هي العرض.

.. عيش حرية تلك الجزر مصرية.

.. بالطول بالعرض نحن أصحاب الأرض.

قال أحدهم:

- هؤلاء يجرحون حناجرهم بلا طائل.

رد آخر:

- ألا تعلم أن القرار للشـــعب، وأنه بمجرد إعلان الخبر توجه مجموعة من فئات الشعب لتلك الجزر ورفعوا الأعلام المصـرية وأخذوا صورا تذكارية وكتبوا على الرمال إن هذه أرض مصرية خالصة، كما قرر مجموعة من الشباب العيش عليها والدفاع عنها بأجسادهم!!

- وماذا جنوا بهذا الفعل؟!

- ألا ترى أن هذا تصرف إيجابي لا ينتظر دعما من أي جهة قد تكون مأجورة أو خائفة أو صاحبة عرَض من عوارض الدنيا.

خفضــتُ رأســي ومســحت دمعة خففتُ بها درجة حرارة جوفي وانشـــغلت بالموبايل هربا من الجالســـين معي ويجادل بعضهم البعض؛ فريق بقناعاته وفريق بهواه.. ناسين أن الشخص الذي يدافعون عنه ويظنون أنهم بذلك يمارسون ديمقراطيتهم قال بكل أريحية:

«بأن معايير الديمقراطية وحقوق الإنســان تختلف في مصــر عنها في أوروبا» والجملة لا تحمل تفسيرا سوى أننا لا نستحق الديمقراطية، وما علي الواحد منا ســـوى وضــــع راحة يده على أذنيه وعينيه وفمه، لا أســمع لا أرى لا أتكلم، وإلا فالاعتقال وما أدراك ما الاعتقال، فالسجون تبنى بسرعة النار في الهشيم.

وجدت رســالة على الواتس لصــديقة أعتز بها وبرأيها.. تنقل موضوعا يؤكد بأن المستفيد من هذا القرار هو العدو الصهيوني.

يقول الخبر؛ «قناة بن غوريون» مشــروع إســرائيلي لعمل قناة بحرية منافســـة لقناة الســـويس من ميناء إيلات علي البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط.

وقناة بن غوريون تسع مرور السفن في الاتجاهين، وستقام محطات لوجستية وفنادق علي جانبي القناة.

وستمر السفن من البحر الأحمر عبر خليج العقبة إلى ميناء إيلات ثم إلى البحر المتوسط، ولكن هناك مشكلة تعوق تنفيذ المشروع وهي أن المدخل الوحيد لخليج العقبة الصالح للملاحة البحرية هو بين جزيرة تيران والساحل الشرقي لجنوب سيناء، أي داخل المياه الإقليمية المصرية وستصبح مصر هي المتحكم في الممر لأنه داخل مياهها الإقليمية ويمكن أن تغلقه أو تفرض رسوما نظير استخدام مياهها الإقليمية في المرور إلى خليج العقبة.

بتنازل مصر عن جزيرة تيران للسعودية يصبح الممر المائي بين

جنوب سيناء المصرية وجزيرة تيران التي أصبحت سعودية مياها دولية لا يحق لأي دولة كانت لا السعودية ولا المصرية التحكم فيه.

وتخسر مصر أهم مورد وهو قناة السويس، وتفقد أهميتها الإستراتيجية بالإشراف على أهم معبر مائي عالمي.

صرخت فيهم:

- لقد صدق حدسي، إسرائيل هي الرابح الوحيد في هذه الصفقة.. وأعطيتهم الخبر يقرأونه.

قال أحدهم:

- لا أفهم كيف تصبح المياه الإقليمية مياهاً دولية؟!

تطوع آخر بإفهامه وهو يرسم له على المنضدة:

- هذا هو ساحل جنوب سيناء وهذه هي جزيرة تيران، لو تيران مصرية والساحل بالطبع مصري فماذا تكون المياه بينهما.

رد على الفور:

- مصرية.

- ولو تيران سعودية ماذا تكون المياه التي بين مكانين أحدهما مصري والآخر سعودي.

رد دون وعي منه:

- دولية.

وأمسك لسانه وغير كلامه:

- ليس شغلنا نحن لا نفهم في هذه الأمور.. ورفع صوته ليداري توتره:

- وهل ذلك الأمر لا تدركه الإدارة السياسية والخبراء العسكريين بالدولة؟!! .. لن يكون هناك أى ضرر على مصر، بل يكون هناك فائدة ستظهرها الأيام.

رد عليه صاحبنا المتصدي:

- التمني شيء والسعي لدرء المفسدة شيء آخر، المفروض أن ندرك الفائدة اليوم حتى نوازن بين الأمور، لا أن ننتظر الأيام.

زادت نبرة صوت الآخر حدة:

- نحن نتكلم ونفتي فيما لا يعنينا ولا نستطيع فهمه، كل واحد يسمع ويكتب ما يسمع على الفيس والقنوات المأجورة، وكأن الكل أصبح خبيرا فى المساحه والكل جاهل، يجب أن يهتم كل بشغله الذي يفهم فيه.

تجملت بالصبر وقلت مدعية الهدوء:

- لماذا ياسيدي تدعونا لعدم الكلام في قضية مصيرية ومستقبل أجيالنا القادمة، وتقول إن كل واحد يسمع ويكتب ما يسمع، ومن أين يستقي الإنسان معلوماته أليست بالسماع والاقتناع، فهناك من سمع واهتم بما سمع واقتنع به، وهناك من أقفل أذنيه وفضل ألا يعرف جديدا حتى لا يغير قناعاته ويظل على جهله، وهؤلاء من تأخذهم العزة بالإثم، وهم الذين يصيبهم التخلف لأنهم محلك سر.

ولماذا تطالبنا بأن يظل كل واحد في شغله الذي يفهم فيه، إذا كان هذا مبدأك فما الذي دعاك للخوض معنا في موضوع ليس شغلك الذي تفهم فيه؟! فقط لتسكتنا!!

على كل حال اذهب إلى اليوتيوب وابحث عن الباحثة في المياه الدولية والمستشارة (هايدي فاروق) واسمع منها فهذا شغلها الذي تفهم فيه.

خبط على المنضدة وهب واقفا وهو يقول:

- كل هذا بفعل قناة الجزيرة التي تسمم أفكاركم.

واجهته بانفعال:

- الحقيقة لولا قناة الجزيرة لصـــرنا بلهاء نمســـح ريالتنا بكم ملابسنا بفعل ما تقدمه لنا قنواتنا المحلية من أكاذيب.

قلت جملتي الأخيرة وتابعته وهو يشـــيح بيده ويهمهم حتى اختفى عن عيني.. انســـحبت مرة أخرى من هذا الجدال العقيم، لأستمع لصوت عقلي الذي يطرح الأسئلة المحزنة.

* فماذا لو نشبت حرب في المستقبل بين مصر وإسرائيل، وهو وارد، كيف تدير مصر الحرب في المياه المصرية مع عدم سيطرتها على هذه الجزر؟!!

* وكيف يمكنها حماية سيناء وشرم الشيخ والساحل الشرقي في شبه جزيرة سيناء، بل كيف يستقر الأمن القومي المصري بدونهما.

* وكيف لرجل عســكري يفرط في موقع إســتراتيجي كهذا لصالح العدو.

* وكيف لدولة عربية أن ترضى باتفاق يشل حركة مصر، ويضعف قوتها أمام العدو المشترك والتاريخي لهما.. ماذا حدث للعرب!!

* كيف للعدو أن يصبح صديقا يبذل لأجله الأمن والكرامة.

* وكيف للصديق أن يعتبر عدوا ويصنف إرهابيا.. وما كل هذا القدر من الدمار.

كانت نظرتي التالية في الموبايل على صورة لطفل يمسح بمنديله دموع طفل يبكي في صـــورة أمامه.. وتحت الصـــورة تعليق، ماذا لو حكم الأطفال العالم.

فعلا الأطفال أقدر على مسح دموع العالم ببراءتهم، وتراءت لي صورتها ببراءتها فقد أضفى غياب عقلها على وجهها البراءة، وكأن العقل هو الذي يجعد وجه الإنسان بما يحمل من هموم، فاتصلت بقريبتها في الحال:

أريد أن أراها.. لابد أن أراها، لن أقبل أي عذر الآن يجب أن أراها، لم تجد أمام إصراري سوى كلمة:

- تفضلي.



٤٢- أيهم يكفل أشجان

ركبت تاكسيا من أمام النقابة وفكري على حاله من التوتر، مررت على عدة مظاهرات رافضـــة، ورأيت كيف يتعامل الأمن بغلظة مع الشــباب الذي يمســك بلافتات تحمل معنى الرفض والسخرية من الفعل، قرأت عواد باع أرضه.. قلت في نفسي عواد حر في أرضه، إنما هذه ليست أرضه.

لاحظت أن ســيارة وراءنا من بداية الطريق توجســت منها خيفة، فالاعتقالات لا تنتقي، والخرس هو شعار المرحلة، وقد وصــل عدد الســجون الجديدة التي بنيت في عهد الانقلاب إلى عشرة سجون، طلبت من السائق أن يهدئ من سرعته حتى يقف تماما لنعرف هوية السيارة التي خلفنا.

قال الرجل:

- لقد أخذت حضــرتك من أمام النقابة هل كنت في المظاهرات.

- ماذا تعرف عن هذه المظاهرات يا أسطى.

- تظنين أنني لست وطنيا.. قسما بالله العظيم لو أحد قرب لك لأدافع عنك بحياتي.

تبسمت لقول الرجل ولمروق السيارة من جانبنا لتأخذ طريقا مغايرا لطريقنا، فقلت للسائق:

- كفى الله المؤمنين القتال.. هيا بنا.

قال الرجل:

- ممكن أقول لك شيئا يا أستاذة.

- تفضل.

- هدى جمال عبد الناصـــر أظهرت وثيقة تثبت أن الجزر سعودية.

- وأين وجدت هذه الوثيقة.

- تقول في جيب بذلة لأبيها.

- وهل مثل هذه الوثائق تحفظ في جيب الرئيس أو حتى في خزانته!!

- هدى بهذا الإدعاء خائنة لوالدها الذي أعلن مرارا أن هذه الجزر مصرية.. وخائنة لنفسها لأنها تجاري نظاما غاصبا دمويا من أجل سلامتها أو الأموال.

هز الرجل رأسه قائلا:

- مهما كان اختلاف الرأي لا يجب أن تتعامل الداخلية بهذا العنف مع الشباب المعارض لها.

- هو نظام قائم على البتر سلمك الله طريقك.. لقد وصلنا.

**

جلست أمامها كطفل ضل طريقه وجاء ليهتدي، أمسكت كلتا يديها بين يدي وثبتُ بصري في عينيها، فحدقت بي مستفهمة:

- كيف حالك يا أشجان.

- الحمد لله.

استبشر قلبي بالخير أن قالت الحمد لله.. ما كان هذا ردها في السابق، نظرت إليهن بامتنان.. وعدت إليها:

- جزيرتا تيران وصنافير مصرية أم سعودية؟!

ابتسمت ابتسامة عدم الفهم ودارت عيناها بيني وبينهن متحيرة ومستنجدة، انتبهتُ أن البنتين وأمهما متحلقات حولنا عن قصد.

ثلاثتهن يقظات لما يدور بيننا حريصات على البقاء والمتابعة، والقيام من آن لآخر لأي شيء يكون بالتبادل بينهن.. تغاضيت عن وجودهن وعدت إليها:

- قولي يا أشجان: الجزيرتان مصريتان أم سعوديتان.

قالت:

- ما رأيك أنت!!

- مصريتان.. مصريتان.

ساد الصمت من الجميع فأثار فضولي صمتهن، فسألت موجهة كلامي لهن:

- وأنتن ما رأيكن.

قاطعتني إحداهن:

- والله ما نعرف شـيئا عن هذا الأمر، لم نسـمع أي خبر عما تقولين؟!!

شـعرت بخيبة الأمل، وعرفت كيف تمر كل مصـيبة كبرى وراء المصـيبة تحت السـمع والبصـر مع ابتسـامة بلهاء، كيف أشرح لهن القضية ولديهن التليفزيون المأجور بقنواته المستفزة، ولو نظرن من النافذة فقط لعرفن على الأقل ما يوجب السـؤال عنه.

زادت خيبتي وفقدت حماستي للاستمرار، فهذا فريق ثالث لا يهمه القضايا الكبرى.

هؤلاء من يخاطبهم منقذهم الذي اختاروه ورقصـوا لـه وغنوا ليقيم لهم الدولة العلمانية بقوله:

- أمي قالت لي.. وأنتم شبه دولة.

هؤلاء لا يهتمون سوى بقضية أشجان وأموالها، وجلوسهن المتعمد حتى لا أعرف منها شـيئا عن أموالها وكيف يحصـلن عليها.

عرفت أيضـا أن القضـية بين الطرفين أهل الأب وأهل الأم لاتزال مسـتمرة، وأن هؤلاء اسـتعانوا بمحامي وأولئك اسـتعانوا بمحامي، وأن ألاعيب المحامين في التطويل والتأجيل على قدم وساق.

لا هؤلاء يريدون التنازل لأولئك، ولا أولئك يلقون أقلامهم، ولا يزال الجدال مستمرا، أيهم يكفل.. أشجان.

تمت بحمد الله

المؤلفة في سطور

نادية كيلانى:

ــــ عضو اتحاد كتاب مصر/ عضو رابطة الأدب الإسلامى/ عضو نقابة الصحفيين /عضو مجلس إدارة نادي القصة/ عضو مجلس إدارة نادي الأدب بثقافة الجيزة/ عضو جمعية الأدباء.

ـ معتمدة مؤلفة دراما ومتحدثة بالإذاعة المصرية.

المؤ هل: ليســـانس لغة عربية وعلوم إســـلامية (كلية دار العلوم).

العمل: صحفية بدار الهلال/ وموقع المشهد الإلكتروني.

الإصدارات:

القصة:

ـ(حب لم يعرفه البشر)ـ رواية – المؤلفة ١٩٨٧ .

ـ(اتهام) ٣٣ قصة قصيرة – الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧ .

.(إلكترومانسي) ١٥ قصة من وحي النت ٢٠١٥.

.(عيني عينك) ١٨ قصة قصيرة ٢٠١٦.

.(عمتي.. معزوفة أبدية) مكتبة جزيرة الورد للطبع والنشــــر ٢٠١٦.

.(إبليس في أجازة ـ مسرحية)ـ (نشر إلكتروني) دار الصداقة للثقافة والنشر. ٢٠١٠.

الشعر:

.(بين الغيوم والقمر) – ديوان شعر- مكتبة الآداب- ٢٠١١.

وتحت الطبع:

.(طفولة المطر) .

.(محمد وصاحباه) سيرة الرسول وصاحبيه شعرا ونثرا.

كتب أخرى:

ـــــــ(الأبراج) (بحث فى علم الفلك) مركز الراية للنشــــر والإعلام ١٩٩٦.

-(أيام مع يحيي حقي) – سيرة ذاتية غيرية- المؤلفة ٢٠٠٥.

ـــــــ(الحجاب رؤية إسلامية دائمة): ردا على كتاب (الحجاب رؤية عصرية) دار اسلام شمس للنشر. ٢٠٠٨.

(احترم نفسك) دار الصفا للنشر والتوزيع ٢٠١٥.

وللأطفال:

ـــــــ(الأستاذ فوازيرو: اسمك معلومة وفزورة)- الهيئة العامة للكتاب من بداية من ٢٠٠٤ ومستمرة حتى الآن.. صدر (تسع وثلاثون اسما في ثلاث عشرة جزءا) وتعد موسوعة في معنى الأسماء في اللغة والعلم والتاريخ والصناعة والتجارة وتداعي معانيها.

.(مغامرات ندي) ٩ قصص- عن سلسلة الأولاد والبنات- دار الهلال. ٢٠١٣.

وتحت الطبع:

.(أمم أمثالكم) مجموعة على لسان الحيوان والطير .

.(ولحم طير مما يشتهون) قصص متنوعة.

.(سلسلة فضائل الشهور العربية: ١٢ جزءً) .

.(سلسلة معاني الشهور الميلادية: ١٢ جزءً).

وعدد من أغاني الأطفال.

دراسات إسلامية:

ــ(عجائب سورة البقرة)ــ (عجائب سورة النور)ــ (عجائب سورة العنكبوت)

ــ(الإمام مالك بن أنس)ــ(الإمام أبو حنيفة النعمان)ــ(الإمام أحمد بن حنبل)

ــ(الإيتيكيت في الاسلام)ــ (حقائق مذهلة في جسم الانسان) ـ (موسوعة الدعاء المستجاب) كلها تصدر عن مركز الراية للنشر والإعلام.

أعمال إذاعية:

سهرات درامية بعنوان:

ـ(أمي ولكن) ـ البرنامج العام.

ـ(ابنة المليونير) البرنامج العام.

ــ(عاشت الأسامي) برنامج رمضاني ثلاثون حلقة ـ البرنامج العام.

دراسات في كتب:

.(هؤلاء كتبوا للأطفال) إعداد «محمود قاسم» المجلس الأعلى للثقافة- المركز القومي لثقافة الطفل-١٩٩٩).

.(سيرة أدبية على أريج صدانا)- شبكة صدانا الثقافية- الجزء الأول.

كتابات نقدية:

.(القصة القصيرة المعاصرة- ٢٠٠١) «دكتور صابر عبد الدايم» دراسة لقصة إحراج.

.(اتجاهات جديدة في القصة المعاصرة) أبحاث مؤتمر القصة- اتحاد الكتاب يناير- ٢٠٠٨

.(هموم القصة القصيرة-٢٠٠٨) «دكتور جمال عبد الناصر» كتابات الاتحاد.

.(القصة امرأة- ٢٠١٠) «محمد محمود عبد الرازق» الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ترجمة معجم البابطين للشعر-الطبعة الثالثة ٢٠١٣.

.(هن في قلب مصر) «فاطمة الزهراء فلا» مكتبة جزيرة الورد. ملامح بعض الشخصيات المعتبرة.

* ترشح الكتب في القائمة الببليوجرافية المعيارية للكتب المختارة لمكتبات المدارس منذ ديسمبر– ٢٠٠٥ وحتى الآن.

nadiakelany@windowslive.com

http://nadiakelany2012.blogspot.com

فهرس الكتاب